شاعراتُ العرب
الجاهليات

صفية بنت ثعلبة الشيبانية
وتُلقب بالحجَيجَة

استجارت بها «الحَرَقَةُ» وهي هند بنت النعمان، فأجارتها، وقامت إلى قومها تعلنهم هذه الإجارة ضد كسرى وجيوشه، بقولها:

أَحيوا الجوارَ فقد أماتتْهُ معًا ... كلُّ الأعاربِ يا بني شيبانِ
ما العذرُ؟ قد لفَّتْ ثيابي حرَّةٌ ... مغروسةٌ في الدُّرِّ والمرجانِ
بنتُ الملوكِ ذوي الممالكِ والعُلى ... ذاتُ الجمالِ وصفوةُ النُّعمانِ
أتهاتفونَ وتشحذونَ سيوفكمْ ... وتقومون ذوابل المُرَّانِ
وتُسوِّمون جنودكُمْ يا معشري ... وتُجدِّدون حقيبة الأبدانِ
وعلى الأكاسرِ قد أجرتُ لحرةٍ ... بكهولِ معشرنا وبالشُّبَّانِ
شيبانُ قومي هل قبيلٌ مثلُهم؟ ... عندَ الكفاحِ وكرَّةِ الفرسانِ
لا والذوائبِ من فروعِ ربيعةٍ ... ما مثلُهم في نائبِ الحَدثَانِ
قومٌ يُجيرون اللهيفَ من العِدَا ... ويُحاطُ عمري من صروفِ زماني
تَردُ الهياجَ بنو أبي لا تتقي ... مَسْطَى العدوِّ وصولةَ الأقرانِ
إنِّي حُجَيْجَةُ وائلٍ وبوائلٍ ... ينجو الطريدُ بشَطْبَةٍ وحِصانِ
يا آلَ شيبان ظَفرتُمْ في الدُّنا ... بالفخرِ والمعروفِ والإحسانِ

فقام بنو شيبان بجوارها وحاربوا جنود العجم وكسرهم كسرة قبيحة، وغنموا منهم مغانم عظيمة.

فقالت صفية في ذلك:

ساقتْ فوارسُ شيبانٍ لمعشرها ... خيرِ الصنائعِ فيها طفرةُ العَجَمِ
غُنْمًا سبايًا من الديباجِ فَرْشهُمُ ... والنَّسْتُرِيِّ وأفنانٍ من القِسَمِ
ثمَّ النضارِ وفيه الدرُّ منتظمٌ ... واللؤلؤِ العجمِ والمعروفِ بالنُّظُمِ
أهدى أخي عمروُ خيرَ الغُنمِ فانتظروا ... عندَ الصباحِ جِباه الخيلِ بالخدمِ
يا آل شيبان بعد اليومِ لا صدرٌ ... عن الكفاحِ وضربٍ متلف القُمَمِ
إني وعمروًا على وعدٍ يفيءُ به ... من الوفاءِ وأسبابٍ من الذِّمَمِ
هذا مقالي وقومي قائلون معي ... كما أقولُ لسانٌ صادقٌ بفمِ
أنا الحُجَيْجَةُ من قومٍ ذوي شرفٍ ... أُولي الحِفاظِ وأهل الغزِّ والكرمِ
والعزُّ فيهم قديمًا غيرُ مقترفٍ ... والجارُ فاعلم عزيزًا دارهُ بهمِ
قولوا لكسرى أجرنا جارةً ثبتتْ ... في شامخِ العزِ يا كسرى على الرُّغُمِ
نحنُ الذين إذا قمنا لداهيةٍ ... لَمْ نَبْتَدِعْ عنده شيئًا من الندمِ
نحوط جارتنا من كلِّ نائبةٍ ... ونرفدُ الجارَ ما يرضى من النَّعَمِ

ثم إن قواد جند كسرى أرسلوا رسولين إلى بني شيبان يطلبان إليهم أن تنزل الحرقة على طاعة منصور (أحد قواد كسرى وهو عربي) وهو يبرئ ذم الشيبانيين مما فعلوا، فلقيا الحجيجة فأبت وقالت لهما:

قولا لمنصورٍ لا دَرَّت خلائفهُ ... ما صاحَ فيهم غرابُ البينِ أو نَعَقَا
من زوَّجَ الفرسَ يا مبتولُ قبلكمُ ... من الأعاربِ يا مخذولُ أو سَبَقَا

اخترْ عدمتُك من فدْمٍ أخائقةٍ ... فانطقْ فأنت أشرُّ الناسِ إنْ نَطَقَا
يا ويح أُمِّكَ يا منصورُ إنَّ لنا ... خيلًا كرامًا تصونُ الجارَ ما عَلِقا
بالله لا نالَ منصورٌ لجارتنا ... وكلُّ جيشٍ بجينا يرجِعن فِرَقا
فَمُتْ بغيظكَ يا منصورُ واحيَ على ... بغضاك قومي وشمِّرْ كل يوم لقا
واحذَر تَمنِّي فما تُعطى مُناكَ بها ... تلك الأماني تعيد الضعف والعرقا
أكلتْ بنو بكر ترضى ما كتبتَ به ... يا ابنَ الدنيَّةِ فأجمل إن أردت بقا

فحاربهم المنصور، فكسروه، ثم رجع إلى كسرى فأمده بجندٍ من العرب يعدون عشرين ألفًا في أموال كثيرة ومئون وافرة، فلما علمت الحجيجة بأمرهم قالت:

ماذا أُحاذرُ من عشرين يَقْدمُهُمْ ... منصورُ في حيِّ غسانٍ على نُجُبِ
من الجيادِ عليها الحيُّ من يمنٍ ... والعُجْمُ ترفل في الماذي واليَلَبِ
وعندي الأقيمُ الهمَّاسُ في فئةٍ ... منهم ظليمٌ وعمارُ بنُ ذي كَرِبِ
وعقبةٌ وعبادٌ والربيعُ إلى ... ذي العزة الفارسِ الحمَّالِ بالكُثُبِ
والصلتُ مع سالمٍ والمالكانِ معًا ... ومسلمٌ بعد بكرِ الفارسِ الأَرِبِ
ونافعٌ وعميرٌ والمروِّحُ في ... فرسانِ شيبانَ لا مِيْلٍ ولا غُضُبِ
والأحوصانِ وأعوافٌ وأحسبُهم ... وابنُ المسيبِ من ذي الخيل بالقُضُبِ
يا عمرُو عمرُو أجبني يا ابنَ ثعلبةٍ ... يا شبه برَّاقَ يومَ القتلِ والسَّلَبِ
لأجل عشرين ألفًا أُضحِ صارخةً ... في آل بكرٍ وذا شيءٌ من العَجَبِ
لا تكشفوني بهذا اليوم وارتقبوا ... يومي لوقتِ اجتماعِ العُجْمِ والعربِ

فهبَّ القومُ الذين ذكرتهم في شعرها وتأهبوا للقتال، وجاءتهم عساكر المنصور بجندِ كسرى؛ فكُسِر المنصور وتفرقت جنوده بعد جلاد مذكور، وعاد إلى كسرى منهزمًا...

وجدد كسرى إرسال القوى العظيمة، فأرسل الطميحُ «وهو من قواد كسرى، وكان يضن بدماء قومه العرب أن يهدرها كسرى» سرا إلى بني شيبان يعلمهم ويحذرهم، فأجابته صفية بهذه الأبيات:

لله دَرُّك من نصيحٍ صادقٍ ... والنصحُ رأيك أيُّها الإنسانُ

واللهُ يجزيك الذي أرسلتهُ ... إنَّ المهيمنَ واصلٌ منَّانُ

أصبحتَ في شيبانَ حول صنائعٍ ... فلتستعدَّ لحملها شيبانُ

ناصحتَهم وشركتَ في محدودهم ... والسرُّ عندكَ فيهم إعلانُ

فلك الجزاءُ بمثلها في حادثٍ ... لا تأمنَّ وأينَ منك أمانُ

والدهرُ يأتي بالقُصارى باقيًا ... واعلمْ فديتُكَ أنَّه خَوَّانُ

ولسوف يدعوني غدًا فأُجيبه ... ولسوف تُقضى فرصةٌ ويُدانُ

جاءَ الرسولُ بنصحهِ ولأنَّه ... محفوظةٌ أسرارهُ وتُصانُ

لكنَّ دونَ السلمِ سُمرٌ ذُبَّلٌ ... لمعاشري من معشر فتيانُ

وصوارمٌ مشحوذةٌ حجيجةٍ من وائلٍ ... جاءت بها الأنباءُ والأزمانُ

ولعمرُ جدك إنْ عناني جندُه ... فمعي له الشَّقَرَاتُ والمُرَّانُ

شيبانُ قومي والأعاربُ دعوتي ... وعزيزةٌ فيهم فلستُ أُهانُ

قلْ للطميحِ فَدَتْهُ فتيانُ الوغى ... عندي لكسرى القلبُ والأبدانُ

باللهِ أفزعُ من كثيف جنوده ... وأنا لجيب لدعوتي العُربانُ

فليأتِ كسرى والأيافثُ بعده ... والتركُ والأدلامُ والحُبْشَانُ

ولديَّ أبيضُ صارمٌ ذو صَعدةٍ ... عند الكريهةِ باسلٌ مطعانُ

جنيٌّ حربٍ في الحروب مجربٌ ... ولدى السلامةِ إنَّه إنسانُ

هزمَ الجيوشَ بجحفلٍ من قومِهِ ... لاقيه يوم لقائه خسرانُ

عندي السَّلاهبُ والقواضبُ والقنا ... ومُدَّجِجون الشُّمْطُ والشُّبَّانُ
وأنا الحُجَيْجَةُ من ذؤابةِ وائل ... وأنا المُجيرةُ والقنا رَعْفَانُ
يا وائلٌ ثوروا فهذا ميقاتُكم ... ولكلِّ أمرٍ يا جليلُ زمانُ
هذا زماني قد دَنَا ميقاتُه ... هذا الأوان لما زَعمتُ أوانُ
أبلغْ طَمِيْحًا يا رسولُ وقلْ له ... بسيوفِ تَغْلِبَ تُغْلَبُ الأقرانُ
لا تَجْزَعنَّ على ربيعةَ إنهم ... أهلُ النصيحةِ يا فتى شيبانُ

ثم قالت لقومها: أتستقيمون وتصبرون أم أستجير لي ولجارتي بقبائل غيركم، وأُريكم العزَّ الأعز والعديد؟؟ وقالت:

ماذا ترونَ بني بكرٍ فقد نزلتْ ... كبرُ الذوائبِ والأُخرى على الأثرِ
أتصبرونَ لشعواءٍ مُلَمْلَمَةٍ ... فيها الأعاجمُ بالنُّشَّاب والوَتَرِ
أَم لستم أهلَ صبرٍ في لوازمها ... عند الحفائظِ والجاراتِ والخَفَرِ
إنِّي أجرتُ بكم يا قومُ فاصطبروا ... فالصبرُ يحلُلُ فوق الأنجمِ الزُّهرِ
إمَّا أجيبوا بني بكر حُجَيْجتكُمْ ... ما عندكم وَيْحَكُم من غايةِ الخَبرِ
يا أيها الشُّمُّ أنتم حافظو ذِمَمي ... وأنتم لعمري العزُّ من عُمرِي
إمَّا صبرتم فلا أدعو لغيركم ... وإنْ جزعتم أُنادي كلَّ ذي حُضرِ
بكلِّ سامٍ إلى الهيجاءِ ذي شرفٍ ... واري الزنادِ كريم الجدِّ من مُضَرِ
ذي مِرةٍ لا يخافُ الجندَ إنْ كثروا ... في سادةٍ قادةٍ معروفةٍ صُبُرِ

فأجابها قومها إلى طلبها، وقاموا على الاستعداد للقاء جند كسرى، فلما قدموا أقبلت صفية على قومها تحرضهم وتشجعهم فرقةً فرقة، وقبيلةً قبيلة.

فخاطبت بني حنيفة بقولها:

إيهًا أجيدوا الضربَ يا حنيفةْ ... فأنتمُ الجُمْجُمةُ الشريفةْ
أهلُ اللقا والعمدةُ المعروفةْ ... والعُدَّةُ المنسوجةُ الموصوفةْ
حامي على أعراضكِ النظيفةْ ... الطاهراتِ ويحكِ العفيفةْ
إنَّ الجنودَ حولكم كثيفةْ ... فلا تَهلكمْ وتزدكُمْ خيفةْ

ثم أقبلت على بني لجيم، فقالت:

لُجَيْمُ قومي وبنو أبينا ... ليسوا لدى الهيجا مُغَلَّبينا
بل ظافرون وحماةٌ فينا ... العزُّ فيهم حينَ يُلْجمُونا
ويَسرحون ثم يحملونا ... إيهًا بني الأعمامِ فانصُرونا

ثم أقبلت إلى بني عجل وفيهم أبوها وأخوها، فقالت:

الفخرُ فخري بسراةِ عِجْلِ ... هم معشري في نَجْدِهِم والسَّهْلِ
هم السَّراةُ وحماةُ الأهْلِ ... والفائقونَ بشريفِ الفعلِ
والمُنْعِمونَ بشريفِ البذلِ ... والناقمونَ بعريضِ الرجلِ
إيهًا أبيدوا جَمْعَهُم بالقتلِ ... ولا تكونوا غَرَضًا للنَّبْلِ
واختلطوا فيهم بغيرِ مهْلِ

وأقبلت إلى بني ذهل وأنشأت تقول:

اليوم يومُ العزِّ لا يومُ الندمْ ... يومُ رماحٍ وجيادٍ وَخَدَمْ
يومٌ به الأرواحُ جهرًا تُصْطَلَمْ ... سوفَ ترى البيضَ غداةَ المبتسمْ
للوائلياتِ التي تحمي الحُمَمْ ... يا آلَ بكرٍ لا تهلْكُمُ العَجَمْ
مَن الذي يحمي الخيامَ والنَّعَمْ ... ومَن يُطاعِن تحتَ سربالِ القَتَمْ
إنْ صبرتْ ذُهْلٌ فعِزِّي اليومَ تَمْ

ثم جاءت إلى بني شيبان فسارت وهم من خلفها، وهي تقول:

إيهًا بني شيبانَ صفًّا بعد صفْ ... من يُرد العَلياءَ لَمْ يَخْشَ التَّلَفْ

مَنْ حاذر الموتَ تنحَّى وَوَقفْ ... إنَّ الشُّجاعَ باسلٌ فيه الصَّلَفْ

إنْ تُقْبِلوا نَظفرْ وَنَحذَرْ وَنَخفْ ... وفي الفرارِ يُولجوا فينا الأكُفْ

اليوم يومُ العزِّ موصوفُ الشرفِ ... إنْ حافظتْ قومي فما بي مِن أَسفْ

أنا ابنةُ العزِّ وَعِرْضِي اليومَ عَفّ ... بكلِّ نصلٍ كالشهابِ المُخْتَطَفْ

نَخْطَفُ قومًا قد عفونا بِسَرَفْ

وحمل العرب على جنود كسرى (الذي كان يقود جنوده في تلك الوقعة) وقعة «ذي قار».

وتكاثر جنوذ العجم على العرب حتى كادوا ينهزمون، فقامت صفية تقطع الحبال؛ فسقطت النساء عن الجمال، ورأى رجالهنَّ ذلك فعطفوا على القتال عطفةَ مَن لا يرجو الحياةَ، وصاحت صفيةُ بأعلى صوتها تُنادي أخاها:

يا عمروُ يا عمرو الفتى بن ثعلبةْ ... حام على جارتك المُسْتَقْرَبَةْ

وزاحِمِ العُجمانَ عند العقَبَة

فحمل أخوها والرجال حملة صادقة؛ ولكنَّ الكثرةَ كادت تفنيهم، وإذا ببني يشكر وعليهم ظليم بن الحارث قد جاءوا مددًا لقومهم ضد كسرى؛ فأيقنت صفية عند ذاك بالنصر، فقالت لقومها:

هذا ظليمُ جَاءَكم في يَشْكُرِ ... بالقُبِّ والمُرَّانِ والسَّنَوَّرِ

كليثِ غاباتٍ مهوسٍ نُخُدِرِ ... يا فارسًا تحتَ العجاجِ الأكْدَرِ

هذا ظليمٌ مِن كرامِ معشرِ ... احملْ هُدِيتَ حملةَ المُتَصِرِ

ثم قالت له:

احمل ظليمُ في العجاج الأسودِ ... ففيه عروٌ كالهزبرِ الأزبدِ
يضربُ بالمشطَّبِ المهنَّدِ ... بساعدٍ ذي نجدةٍ مؤيَّدِ
أدركْ فأنت غايةُ المستنجدِ ... واعدُ على القومِ كعَدوِ الأسدِ
بذي جنانٍ كالصفاءِ الأصلدِ ... باليشكُريين كرامِ المحتدِ

فهجم اليشكريون وفرَّجوا عن بني شيبان، واشتدَّ القتال ثم افترق الجمعان، وفي اليوم الثاني اجتمعت صفية بالطميح سرًّا، فقالت له تحرضه على خذلان كسرى:

ليس للعجمِ نُصْرةٌ في عشيري ... إنْ أرادَ الطميحُ نجلَ الكرامِ
إنْ تولَّتْ لنا إيادُ انهزامًا ... كان منهم هزيمةُ الأعجامِ
وملكنا العُلُوَّ والفخرَ طول الدهرِ حتى وآخر الأيامِ
إنَّ نصرَ الطميحِ أكرمُ نصرٍ ... وحُنوٌّ على بني الأعمامِ

فوافقها على ذلك.

وفي اليوم الثاني نزل للقتال وافترقوا، وكذلك في اليوم الثالث، وفي اليوم الرابع جاءت صفية بالحرقة وقالت لها: كوني قريبة مني، وانشدبت فوارس قومها ورأست عليهم أخاها عمرو، وأنشأت تقول لهم -والحرقة واقفة بجانبها-:

يا عمرُو يا مَنْ قد أجار الحُرَقَةْ ... يا رأسَ شيبانَ الكماةِ والمُغرِقَةْ
يا فارسَ العاديةِ المُحقَّقَةْ ... اليومَ يومُ ما العيونُ أَرِقَةْ
إذا رأتْ فيه دماءً مُهْرَقَةْ ... والعُجْمُ صَرْعَى جمعُهم مُفْتَرِقَةْ
مقتولةٌ تنفرُ شتَّى قَلِقَةْ ... أدركْ شهابًا فهو اليومُ الثِقَةْ
أكْرِمْ خليلي مَن سَعَى أو لَحِقَةْ

وقالت للحرقة: هذا آخر يوم بيننا وبين هؤلاء القوم فأسفري على عمرو وأوصيه بما شئتِ، فأسفرت الحرقة بوجه زاهر وحسن وأنشدته شعرًا يأتي في ترجمتها.

ثم قالت صفية تُحرض أبا جدابة:

إنَّ الجنـــودَ حثُّهـــا طلابُهـــا ... والأَرقميـــونَ فـــذا شـــهابُها

مقـــدامُها طعَّانُهـــا ضَرَّابُهـــا ... زعيمُهـــا فارسُـــها غلَّابُهـــا

متلافُهـــا مخلافُهـــا كتَّابُهـــا ... وأنـــتَ مـــن بعـــدُ الفتـــى ثقابُهـــا

وكذلك أنشدته:

إيهًـــا جـــدابُ ســـيدَ الأعـــرابِ ... يـــا معـــدنَ الطعـــانِ والـــضِّرابِ

يـــا طيِّـــبَ الأحـــسابِ والأنـــسابِ ... قـــم لي مقـــامَ ســـيدي شـــهابِ

بـــالعزمِ والحـــزمِ وبالعـــذابِ ... شَـــمِّرْ وقُـــمْ يـــا ويـــك في النقـــاب

قـــد حـــلَّ دَيْنـــي واقتـــضى حـــسابي

ثم اقتتلوا قتالًا شديدًا، وقتلوا أولاد الملك كسرى، وانهزمت العجم وغنم العرب غنائم من الذهب والفضة والديباج واللؤلؤ والدُّر وكل ثمين، ذلك إلى النصر المبين الذي تفوقت به العرب على العجم وانتصفت منهم.

الحُرقةُ
وهي هند بنت النعمان بن المنذر

طلبها كسرى من أبيها النعمان للزواج؛ فَأَنِفَ النعمان أن يزوجها من أعجمي؛ فجنَّد كسرى الجنودَ وفتك بالنعمان، وهربت الحرقة ملتجأة إلى بوادي العرب في خفاءٍ.

وبلغها وهي في بني سنان أنَّ كسرى أرسل جُندًا إلى بكر بن وائل، فأرسلت تنذرهم بهذه الأبيات:

أَلا أَبلِغْ بني بكرٍ رسولًا ... فقد جَدَّ النفيرُ بعنقفيرِ

فليتَ الجيشَ كُلَّهم فِداكُمْ ... ونفسي والسَّريرَ وذا السَّريرِ

كأنِّي حينَ جَدَّ بهم إليكم ... مُغلَّفة الذوائب بالعبيرِ

فلو أنِّي أطقتُ لذاكَ دفعًا ... إذًا لدفعتُه بدمي وَزِيري

فأرسل كسرى صوائح في بلاد العرب، أنْ برئت الذمة ممن يحمي أو يئوي الحُرقة. فقالت الحرقة تتأسف على خمود هِمَّة العرب وتخاذلهم أمام كسرى:

لم يَبْقَ في كلِّ القبائلِ مطمعٌ ... لي في الحوارِ فتقتلُ نفسيَ أعودُ

ما كنتُ أَحسبُ والحوادثُ جَمَّةٌ ... أنِّي أموتُ ولم يَعُذْنِي العُوَّدُ

حتى رأيتُ على جرايةِ مولدي ... ملكًا يزولُ وشملُه يتبدَّدُ

فَدُهِيتُ بالنعمانِ أعظمَ دَهْيَةٍ ... ورجعتُ من بعدِ السَّمَيْدَعِ أُطرَدُ

وغشيتُ كلَّ العربِ حتى لم أَجِدْ ... ذا مرَّةٍ حَسَنَ الحفيظةِ يوجَدُ

ورجعتُ في إضمارِ نفسي كي أَمُتْ ... عَطَشًا وجوعًا حرُّه يتوقدُ

مُـوتي بُعَيْـدَ أَبيـكِ كيـفَ حياتُنـا ... والمـوتُ فهـو لكـلِّ حـيٍّ مُرْصَـدُ
يـا نفـسُ مـوتي حـسرةً واسـتيقني ... سيـضمُّ جـسمَكِ بعـدَ ذاك المُلْحَـدُ
خَـابَ الرجـا ذهـبَ العزاقـل الوفـا ... لا الـسهلُ سـهلٌ ولا نجـودٌ أنجُـدُ
جمـدتْ عيـونُ النـاسِ مـن عبراتهـا ... وقلـوبُهم صـمٌّ صِـلادٌ جلْمَـدُ
لا يرحمـون يتيمـةً محزونـةً ... مقتولـةَ الآبـاءِ نِـضْوًا تُطْـرَدُ
تبغـي الجـوارَ فـلا تُجَـارُ وقبـلَ ذا ... كـان المنـادي للجـوارِ يُـنَوَّدُ
فـالموتُ فيـه فَزْجَـةٌ فتأيَّـدي ... لـيس المُفَـزَّعُ قلبُـه يَتَأيَّـدُ
أُفٌّ لـدهرٍ لا يَـدومُ سرورُهُ ... ولخـصبِ عـيشٍ غـضُّه يتنكَّـدُ
مـا الـدهرُ إلَّا مثـل ظـلٍّ زائـلٍ ... وبـدورِ شـمسٍ فارقتهـا الأَسْـعُدُ
وصروفُ هـذا الـدهرِ أعظـمُ مطلبًـا ... للأَعْظَمـين هلاكهـم يتـودَّدُ
أفهـل رأيـتُم أسـفلًا يفنـى كـما ... يفنـى الأعـالي الأَسـمحونَ الـسؤدَدُ
لا مـا أظـنُّ وللزمـانِ بقيـةٌ ... ووضـيعُ قـومٍ في الـدُّنا لا يُنْجَـدُ
قـومي تهيـي للممـاتِ فإنَّـه ... أَوْلَى بـذي حُـزْنٍ إذا لا يُـسْعَدُ

ثم أجارتها الحُجيجة وهي «صفية الشيبانية» وحارب قومها كسرى وجنوده وكسروهم مِرارًا، ثم جمع كسرى جموعًا كثيرة وجاء يقودها بنفسه.

فلما اشتد البأس في الوقعة الأخيرة بين العرب والعجم -وهي وقعة ذي قار- رأس القوم عمرو بن ثعلبة الشيباني (أخو صفية) فسفرت الحرقة بين يديه، وقالت توصيه:

حـافظْ عـلى الحـسبِ النفـيسِ الأَرْفَـعِ ... بِمُـدَجَّجين مـع الرمـاحِ الـشُّرَّعِ
وصـوارمٍ هنديـةٍ مـصقولةٍ ... بـسواعدٍ موصـولةٍ لم تُمْنَـعِ
وسـلاهبٍ مـن خـيلكم معروفـةٍ ... بالـسَّبْقِ عاديـةٍ بكـلِّ سَـمَيْذَعِ

واليـوم يـوم الفـصلِ منـكَ ومـنهمُ ... فاصـبرْ لكـلِّ شـديدةٍ لم تُـدْفَعِ
يا عمرُو يا عمروُ الكفاحَ لدى الوغى ... يـا ليـثَ غـابٍ في اجـتماعِ المجمـعِ
أَظْهِـرْ وفـاءً يـا فتـىً وعزيمـةً ... أَتُـضيعُ مَجْـدًا كـان غـيرَ مُـضَيَّعِ

وقالت أيضًا بعد الفوز في الوقعة:

رَغمْنـا بعمـرٍو أنـفَ كـسرى وجنـدِه ... ومـا كـانَ مرغومًـا بكـلِّ القبائـلِ
وهـذا قُـصارى الأمـرِ فاحمـلْ مُحـسرًا ... لِكميـكَ مـا بـين الظُّبـا والـذَّوابلِ

وقالت:

لقـد حَـازَ عمـرٌو مـع قبائـلِ قومِـه ... فخـارًا سَـمَا فـوقَ النجـومِ الثَّواقـبِ
هـم قلَّـدوا لُحْـمًا وغَـسانَ منـة ... بِـسُمْرِ القنـا والعاديـاتِ الـشوازبِ
وكـل غـلامٍ بـالمكرَّةِ باسـلٍ ... أبيٍّ (جـريءٍ) للحـروبِ مطالـبِ
يُقلِّـبُ عَـسَّالًا وينـدبُ صـارمًا ... ويلـبسُ يـومَ الـرَّوْعِ ثـوبَ المحـاربِ
حمتنـي بنـو شـيبانَ والحـيُّ تغلـبٌ ... بِقـبِّ المـذاكي والـسيوفِ القواضـبِ
نجـوتُ بعمـرٍو مـن مطـامعِ كيـسرٍ ... وعـدو شـهابٍ يـومَ روعِ المقانـبِ
ولله مـولاهم جدابـةُ نِعْـمَ مـا ... يُـدَبِّرُ في كـلِّ الأمـورِ اللَّـوازبِ
بأسـمر عـسَّالٍ وأبـيضَ قـاطعٍ ... وأكمـتَ ورديٍّ وعـين مراقـبِ
وكـم فـرجٍ منـه علينـا بغـارةٍ ... وكـم حملـةٍ يـومَ التقـاءِ الكتائـبِ

وقالت تمدح الحجيجة وقومها بني شيبان بعد هذه الانتصارات:

المجـدُ والـشرفُ الجـسيمُ الأَرْفَـعُ ... لـصفيةٍ في قومِهـا يُتَوقَّـعُ
ذاتِ الحجـابِ لغـيرِ يـومٍ كريهـةٍ ... ولـدى الهيـاج يُحَـلَّ عنهـا البرقـعُ
نطقـاءُ لا لوصـالِ خـلٍ نطقُهـا ... لا بـل فـصاحتَها العـوالي تَـسْمَعُ

لا أنس ليلة إذْ نزلتُ بسوحها ... والقلبُ يَخفقُ والنواظرُ تدمَعُ
والنفسُ في غمراتِ حُزنٍ فادحٍ ... وَهْمى الفؤادِ كئيبةً أتَفَجَّعُ
مطرودةً من بعدِ قتلِ أبوَّتي ... ما إنْ أُجارُ ولم يسعني المضجعُ
ونشستُ من جارٍ يُجيرِ تكرمًا ... فتُحلُّ عن عيسي لديه الأنسعُ
وأتاني الرَّاعي بجنفٍ قناعَها ... فأُجِرْتُ واندملتْ هناك الأضلعُ
وتواردوا حوضَ المنيَّةِ دونَ أنْ ... تُسبى خفيرةُ أُختهم واستجمعوا
وألَحَّ كسرى بالجنودِ عليهمُ ... وطميحُ يُردفُ بالسيوفِ ويدفعُ
كم زَادَهُم من غارةٍ ملمومةٍ ... بالقُبِّ تعطبُ والأَسنَّة تلمعُ
وهمُ عليه واردون بطرفهم ... والنَّصْرُ تحتَ لوائهم يَتَرَعْرَعُ
حتى غدا الفُرسيُّ في أَجنادِه ... والقومُ جرحى والمذاكي ظُلَّعُ
فهناك أُرجفتِ البلادُ ومن بها ... يا الأحياءُ من يمنٍ ومَنْ يَتربَّعُ
وتحيَّروا فَشَفَتْ صفيةُ مفخرًا ... ودعتْ قبائلَ شَرُّها لا يُقْلعُ
منها شهابٌ مع ظليمَ وشعثمٍ ... وجدابةٌ في حرِّها يتلفَّعُ
آجامُهم فيها الصَّوارمُ والقنا ... والسَّابريةُ والوشيجُ الشُّرَّعُ
فرأيتُ عندَ الخيلِ فيها شعثمًا ... مثلَ الحمامِ إلى الموارد يقلعُ
وجدابةٌ كالفحلِ يضربُ أنيقًا ... وشهابُ يضربُ بالحسام ويُوجعُ

وأعطاها بنو شيبان ألف ناقة وكثيرًا من الهدايا الثمينة وأكرموها غاية الإكرام، وقد تزوجت بعد ذلك المنذر بن الريان أحد أبناء الملوك، وقد أسلم، وقُتل بين يدي الرسول عليه السلام في وقعة أُحُد هو وحمزة رضي الله عنه.

ثم أتت سعد بن أبي وقاص في الحيرة -بعد وقعة القادسية- تشكو أمرها إليه، وقالت:

فبينا نَسوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا ... إذا نحن فيهم سوقةٌ نتنصَّفُ
فأُفٌّ لدنيا لا يدومُ نعيمُها ... تُقلِّبُ تاراتٍ بنا وتُصرِّفُ

فأكرمها سعد، وحفظ لها مقامها وعاملها معاملة العظماء، وخرجتْ من عنده مغتبطةً، وسألها الناسُ ما صنعَ بك الأمير؟ فقالت:

صَانَ لي ذِمَّتِي وَأَكْرَمَ وَجْهِي ... إِنَّما يُكْرِمُ الكريمَ الكريمُ

أُمُّ أبي جدابة

انتصر أبو جدابة لبني شيبان في حرب كسرى ضد المنصور، وهو من قرابة أُمِّه، فقالت:

بِئْسما رَبَّيْتُه مِن وَلَدٍ ... قد رَجَوتُ النصرَ فيه والظَّفَرْ
عَاقَهُ مقدور سوءٍ فسانثنى ... وارتوى بالعارِ والرأي الأشرْ
قَبَّحَ اللهُ لباني إنَّه ... كَلِيَانِ البكْرِ مِن بَغْلٍ أَغَرْ
أيُّها الناسُ أفيقوا وانظروا ... فلقد جاءَ بأمرٍ مُسْتَهَرْ
قاتلَ الأعمامُ والخالُ له ... جاهلٌ في الدهرِ في هتْكِ النفرْ
معشرٌ منهم ضرارٌ وابنُه ... ويزيدٌ ونُفَيْعٌ وعُمَرْ
لا سقى اللهُ أَرضَهم حيًّا ... ووليدي غَالَه سوءُ القدرْ
وتقضَّى أملي منه ولا ... عاشَ في خيرٍ ولا أَقْضَى وطرْ
وشهابٌ قد صبا فيمن صبا ... ليس عمري فيه سَمْعٌ وبَصَرْ
يمنحُ المعروفَ غيرَ أَهلِه ... وَيُحَلِّي الدُّرَّ طينًا وَحَجَرْ

كـــان جـــسَّاسٌ وقـــد أَهـــدى لـــه ... في كُلَيْـــبٍ عمُّـــه ضـــوءَ القمـــرْ
فبنـــو شـــيبان خُلْـــصانٌ لـــهُ ... أهـــلُ نـــصحٍ وصـــفاءٍ مـــشتهرْ
فلحـــــاه اللهُ عَنِّـــــي رجـــــلًا ... ورمـــى ابنـــي بـــسهمٍ مـــن وَتَـــرْ

هندُ بنت بياضة الإيادية

قالت في جموع وَجَّهها كسرى لإياد:

دُعينـــا لأضـــيافٍ وقـــد نزلـــوا بنـــا ... رفيـــدةُ والقـــينُ بـــنُ حـــبسٍ وعـــامرُ
وقـــد نزلـــتْ بهـــراءُ خلـــفَ بيوتنـــا ... كـــما نزلـــتْ تبغـــي قِرانـــا الأَســـاورُ
فـــما أنْ لبثنـــا ســـاعةً بقِـــراهمُ ... وقـــد يحمـــدُ الرفـــدَ الـــسريعُ المبـــادرُ

زوجةُ قراد بن أجدع

كفل زوجها (الطائيَّ) الذي حكم عليه النعمان بالموت، واستمهله الرجل حتى يأتي أهله، فأذن له بكفالة قراد بن أجدع، فلما حان الحين ولم يأت الطائي وضعوا زوجها على النطع لينفذ فيه القتل، فقالت امرأته:

أيـــا عـــينُ بكـــي لي قُـــرادَ بـــن أَجـــدعا ... رَهينًـــا لقتـــلٍ لا رَهينًـــا مُودَّعـــا
أَتَتْـــهُ المنايـــا بغتـــةً دونَ قومِـــه ... فأمـــسى أَســـيرًا حـــاضر البيـــتِ أضرعـــا

ثم حضر الطائي فنجا زوجها من القتل وعفا النعمان عن الطائي (في قصة طويلة).

هند بنت معبد من بني أسد

كان جدها ينادم النعمان فسكر وأمر بقتله مع عمرو بن مسعود، فقالت ترثيهما من قصيدة:

ألا بكَّرَ النـاعي بخيرِ بنـي أَسَـدْ ... بعمرِو بنِ مسعودٍ وبالسيدِ الصَّمَدْ

وقالت:

أأُمـيم هيهـاتِ الصبا ذهبَ الصبا ... وَأطارَ عَنِّي الحلمَ جهلٌ غرابي

أيـن الأُولى بالأمسِ كانوا جيرةً ... أمسوا دفينَ جنادلٍ وترابِ

ماتوا ولو أنِّي قدرتُ بحيلةٍ ... لأَحدتُ صرفَ الموتِ عن أحبابي

ما حيلتي إلا البكاءُ عليهمُ ... إنَّ البكاءِ سلاحُ كلِّ مُصابِ

وقالت ترثي ابنَ عمِّها خالد بن حبيب:

أمسى بواكيكَ مَللْنَ البُكا ... وشرُّ عهدِ الناسِ عَهْدُ النِّسا

فابنَ حبيبٍ فابكيا خالدًا ... لجفنةٍ ملأى وزِقٍّ رِوَى

وابنَ حبيبٍ فابكيا خالدًا ... لطعنةٍ يقصرُ عنها الإسا

إنْ تبكيا لا تبكيا هَيِّنًا ... وما بما مَكَّكُما من خفا

إذ يُخرجُ الكاعبَ من خدرِها ... يومُك لا تذكرُ فيه الحيا

أحلى من التمرِ وأحمى من الجـ ... ـمرِ وآبى عندَ جدِّ الإبا

عفيرةُ بنت عفان الجديسية

كان عمليق ملك جديس وطسم «وهو من طسم» ظالمًا قد تمادى في غوايته حتى قيل: إنه جاءه بعضهم فاحتكموا إليه في أمر فحكم حكمًا غير عادل، فقالت امرأة من جديس:

أَتَيْنَا أَخَا طسمٍ لِيحكم بيننا ... فأنفذَ حُكمًا في هزيلة ظَالِما

لعمري لقد حُكِّمْتَ لا متورعًا ... ولا كنتَ فيما يُبرمُ الحكم عَالِما

ندمتُ ولم أندمْ وإني لعترتي ... وأصبح بعلي في الحكومةِ نادما

فلما سمع عمليق قولها أمر ألا تهدى امرأة من جديس إلى زوجها قبل أن تقدم إليه وزُوِّجت (عفيرة) فانطلقوا بها إلى عمليق، فافترعها وخلَّى سبيلها، فخرجتْ إلى قومها في أقبح منظر وهي تقول:

لا أحدٌ أذلَّ مِن جديسِ ... أهكذا يُفْعَلُ بالعروسِ؟

يَرْضَى بهذا بالقومي حرٌّ؟ ... أهدى وقد أعطى وسيق المهرُ

لأَخْذَةُ الموتِ كذا لنفسِه ... خيرٌ مِن أنْ يُفْعَلَ ذا بعرسِه

وقالت تحرض قومها بهذه الأبيات:

أيجملُ ما يُؤتى إلي فتياتِكُمْ ... وأنتم رجالٌ فيكمُ عددُ النملِ

وتصبحُ تمشي في الرغام عفيرةً ... عُفَيْرةُ زُفَّتْ في النساءِ إلى بَعْلِ

ولو أنَّا كنَّا رجالًا وكنتمُ ... نساءً لكنَّا لا نُقِرُّ بهذا الفعلِ

فموتوا كِرامًا أو أميتوا عَدوَّكم ... ودُبُّوا لنارِ الحربِ بالحطبِ الجزْلِ

وإلَّا فخلُّوا بطنَها وَتحَمَّلُوا ... إلى بلدٍ قفرٍ وموتوا من الهزْلِ

فَلَلْبَيْنُ خيرٌ من تمادٍ على أذىً ... وَلَلْمَوتُ خيرٌ مِن مقامٍ على الذُّلِّ
وإنْ أنتم لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساءً لا تُعابُ من الكُحْلِ
ودونكم طيبَ العروسِ فإنَّما ... خُلِقْتُم لأثوابِ العروسِ وللنسلِ
فبُعْدًا وسُحْقًا للذي ليس دافعًا ... ويختالُ يمشي بيننا مِشيةَ الفَحْلِ

فقام قومُها على عمليق وقتلوه مع جماعته كلهم وخلصوا من ظلمه.

أختُ الأسود بن غفار

نهت قومها (جديس) عن الغدر بقبيلة طسم فعصوها، فقالت:

لا تغدروا إنَّ هذا الغدرَ مَنْقَصةٌ ... وكلُّ عيبٍ يُرى عيبًا وإنْ صَغُرَا
إنِّي أخافُ عليكم مثلَ تلك غدًا ... وفي الأمورِ تَدابيرٌ لمن نَظَرَا
شتانَ باغٍ علينا غيرُ مؤيَّدٍ ... يغشى الظُّلامة لن تُبقي ولن تذرا

عمرةُ بنت الحباب التغلبية

لطمها زوجُها لبيد بن عنبسة الغساني الوالي على ربيعة من قبل ملوك اليمن؛ لقولٍ قالته مفتخرة بكليب سيد وائل، فقالت له: أنا أكرمُ منك، وذهبتْ مغضبة إلى كليب، فقالت له:

ما كنتُ أحسبُ والحوادثُ جَمَّةٌ ... أنَّا عبيدُ الحيِّ من غسَّانِ
حتَّى علتني من لبيدٍ لَطْمَةٌ ... سُجرتْ لها من حَرِّها العينانِ
إنْ تَرْضَ تغلبُ وائلٍ بفعالِهِمْ ... تكُنِ الأذلَّةَ عندَ كُلِّ رهانِ

لـــولا الوجيهـــةُ[1] قطعتنـــي بكـــرةٌ جربـــاءُ مُـــشْعَلَةٌ مِـــن القطْـــرانِ

فخرج كليب إلى لبيد حتى صَدَعَ هامته بالسيف.

ليلى العفيفة بنت لكيز
من بني ربيعة، زوجة البرّاق الفارس المشهور

نزل أبوها في ناحية من بلاد الفرس ومعه ابنته، وكانت من أجمل نساء زمانها، فأوصل خبرها إلى ملك الفرس وقتئذٍ أحد حاشيته، فقال له الملك: ما عسى أن نبلغ منها والبدوية تفضل الموت على أن يغشاها عجمي، فقال نرغبها بالمال ومحاسن المطاعم والمشارب والملابس. وأرسل الملك فاغتصبها من أبيها، ثم عرض عليها جميع المشتهيات والمرغبات وخوفها بجميع العقوبات، وعاملها بالتعذيب ليرى وجهها فأبت، وخيرته بين أنْ يقتلها أو يعيدها لأبيها، ولما يئس منها أسكنها في موضع وأجرى عليها الرزق واكتفى برؤية قوامها تحت ملابسها في بعض الأحيان، وكان لليلى المذكورة ابن عم من بني بكر فارس شجاع يُقال له: البرّاق، فاحتال حتى خلّصها، ومن نظم ليلى في أثناء ما حصلَ لها قولها:

ليـــتَ للـــبرّاق عينًـــا فـــترى مـــا أُلاقـــي مـــن بَـــلاءٍ وَعَنـــا

يـــا كليبًـــا وعُقَـــيْلًا إخـــوتي يـــا جُنَيـــدًا أَنْـــعدوني بالبكـــا

عُـــذِّبتْ أُختُكم يـــا ويلكـــم بعـــذابِ النكـــرِ صُـــبْحًا ومـــسا

غَلَّلـــوني قَيِّـــدوني ضربـــوا مَلْمَـــسَ العِفَّـــةِ مِنِّـــي بالعـــصا

يكـــذبُ الأعجـــمُ مـــا يقربنـــي ومعـــي بعـــضُ حـــشاشات الحيـــا

فأنـــا كارهـــةٌ بَغْـــيَكم ويقـــينُ المـــوتِ شيءٌ يُرتجـــى

---

(١) الوجيهة: أُمُّها، وهي من اليمن.

فاصطبارٌ أو عزاءٌ حسنٌ ... كلُّ نصرٍ بعدَ ضُرٍّ يُرتجى

أصبحتْ ليلى تُغَلُّ كفُّها ... مثلَ تغليلِ الملوكِ العظما

وتقيَّد وتُكَبَّل جهرةً ... وتُطَالَبْ بقبيحاتِ الخنا

قلْ لعدنانَ هُديتم شَمِّرُوا ... لبني مبغوض تشميرَ الوفا

يا بني تغلب سيروا وانصروا ... وذروا الغفلةَ عنكم والكَرَى

واحذروا العارَ على أعْقَابِكُم ... وعليكم ما بقيتم في الدُّنا

وقالت ترثي غرثان أخا زوجها:

لما ذكرتُ غُرَيِّفًا زادَ بي كمدي ... حتَّى همتُ من البلوى بإعلانِ

تَرَبَّعَ الحُزنُ في قلبي فَذُبْتُ كما ... ذَابَ الرَّصَاصُ إذا أُصلي بنيرانِ

فلو تَراني والأشجانُ تُقْلِقُني ... عَجِبْتَ براقُ من صبري وكتماني

لا درَّ درُّ كليبٍ يومَ راح ولا ... أَبي لُكيزٍ ولا خيلي وفرساني

عن ابن رَوْحان رَاحتْ وائلٌ كئبًا ... عن حاملٍ كل أثقالٍ وأوزانِ

وأسلموا المالَ والأهلين واغتنموا ... أرواحَهم فكبا زِندُ ابنِ روحانِ

فتى ربيعة طوَّافٍ أماكنها ... وفارس الخيل في رَوْعٍ وميدانِ

يا عينُ فابكي وجودي بالدموعِ ولا ... تملي يا قلبُ أن تبكي بأشجانِ

فذكرُ غرثانَ مولى الحيِّ من أسدٍ ... أنسَى حياتي بلا شك وأنساني

ومن قولها في وداع البرَّاق:

تزوَّدْ بنا زادًا فليس براجعٍ ... إلينا وصالٌ بعدَ هذا التَّقاطُعِ

وكَفْكِف بأطرافِ الوداعِ تمتعًا ... جفونَك من فيضِ الدموعِ الهوامعِ

ألا فاجزني صاعًا بصاعٍ كما تَرَى ... تصوُّبَ عيني حسرةً بالمدامعِ

ومن قولها:

بـــرَّاقُ ســـيدُنا وفـــارسُ خيلِنـــا ... وهـــو المُطـــاعِنُ في مـــضيقِ الجَحْفَـــلِ

وعـــمادُ هـــذا الحـــيِّ في مكروهـــه ... ومؤمَّـــلٌ يرجـــوه كـــلُّ مُؤمِّـــلِ

أُمُّ الأغر
بنت ربيعة أخت كليب وائل

قالت ترثي غرثانا أخا البراق وتحرض بني بكر على الأخذ بثأره:

ألا فـــابكي أعينـــي لا تمـــلي ... فـــلي بمـــصابنا أبـــدًا عويـــلُ

فـــلا ســـلمتْ عـــشيرتنا وعـــادتْ ... إذا صُرعَ ابـــن روحـــان النبيـــلُ

إذا رُحـــتُمْ وخلَّفْـــتمْ هُبلْـــتُمْ ... لغرثـــانٍ فـــلا راح القبيـــلُ

فـــرحتم بالغنـــائم حـــين رُحـــتمُ ... وبـــان بموتـــه الغُـــنمُ الجليـــلُ

تـــركتم ذا الحفـــاظِ وذا الـــسرايا ... وراءكـــم أضـــلكم الـــدليلُ

فقـــلْ لنـــويرةٍ وكليـــب مهـــلًا ... أقـــيما إن خـــزيكما طويـــلُ

البسوس ابنة منقذ البكرية

نزل بها ضيف اسمه سعد، فذهبت ناقته ترعى في حمى (كليب بن وائل) فأنفذ كليب سهمه في ضرعها، ورجعت إلى فناء البسوس، فقالت البسوس تحرض جاسًا بن مرة (وهي خالته):

لعَمْـــرُك لـــو أصـــبحتُ في دار منقـــذٍ ... لَمـــا ضـــيْمَ ســـعدٌ وهـــو جـــارٌ لأبيـــاتي

ولكننـــي أصـــبحتُ في دار غربـــةٍ ... متـــى يعـــدُ فيهـــا الـــذئب يعـــدُ عـــلى شـــاتي

فيا سعدُ لا تغررْ بنفسك وارتحلْ ... فإنك في قوم عن الجار أموات
ودونك أذوادي فإني عنهم ... لراحلةٌ لا يُفقدوني بُنياتي
وسر نحو جُرْمٍ إن جُرْمًا أعزَّةٌ ... ولا تكُ فيهم لاهيًا بين نسواتِ
إذا لم يقوموا لي بثاري ويصدقوا ... طعانهم والضرب في كل غاراتِ
فلا آبَ ساعيهم ولا سد فقرهم ... ولا زال في الدنيا لهم شرُّ نكباتِ

فأصابت كلماتها صميمَ فؤاده، وكان من ذلك أن قتل كليبًا ونشبت الحرب بين بكر وتغلب ودامت أربعين عامًا.

جليلة بنت مرة

دخلت ناقة البسوس ضيفة أخيها جساس بن مرة حمى زوجها كليب بن ربيعة سيد وائل فأراد كليب عقر الناقة فناشدته جليلة ألا يرهق صهره ولا يقطع رحمه قائلة:

أخٌ وحريمٌ داخلٌ إن قطعتهُ ... وكيف يسوءُ القوم من قد يسودها
فما أنت إلا بين هاتين واقعٌ ... وكلتاهما وزرٌ وصعب كئودها

فلم يعبأ بقولها ورمى ضرع الناقة بسهم فقتلها، فقتله جساس بعد ذلك ورحلت هي عن قوم زوجها، فقالت أخت كليب لها كلاما معناه أنها ترحل رحيل الشامت. فانشأت تقول:

يا ابنة الأعمام إن لُمتِ فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي
فإذا أنت تبينت الذي ... يوجبُ اللوم فلومي واعذلي
إن تكن أختُ امرئ لَيَمَتْ على ... شفقٍ منها عليه فافعلي

جلَّ عندي فعلُ جساس فيا ... حسرتي عما أنجلى أو ينجلي
فعلُ جساسٍ على وجدي به ... قاطعٌ ظهري ومدنٍ أجلي
لو بعينٍ فُديت عيني سوى ... أختها فانفقأت لم أحفل
تحملُ العين أذى العين كما ... تحملُ الأمُ أذى ما تعتلي
يا قتيلا قوضَ الدهرُ به ... سقف بيتي جيعًا من عَلِ
هدم البيت الذي استحدثته ... وانثنى في هدم بيتي الأول
ورماني قتله من كثبٍ ... رميةَ المُصمى به المُستأصلِ
يا نسائي دونكن اليوم قد ... خصني الدهرُ برُزءٍ مُعْضِلِ
خصني قتل كُلَيْبٍ بلظَى ... من ورائي ولظَى مُستقبلي
ليس من يبكي ليوميه كَمَنْ ... إنما يبكي ليومٍ ينجلي
يشتفي المُدْرِكُ بالثأرِ وفي ... دَرَكي ثاريَ ثُكْلُ المُثْكِلِ
ليته كان دمي فاحتلبوا ... دِرَرًا منه دمي من أكحلي
فانا قاتلةٌ مقتولةٌ ... ولعلَّ الله أن ينظر لي

وقالت بعد ذهابها إلى دار أهلها، وهي في الطريق:

يا عين فابكي فإن الشرَّ قد لاحبا ... وأسبلي دمعك المخزون سَفّاحا
هذا كليبٌ على الرمضاءُ منجدلٌ ... بين الخزامى علاهُ اليوم أرماحا
والتغلبيون قد قاموا بنصرته ... وكنتمُ وجلال الله أوقاحا
قد كان تاجًا عليهم في محافلهم ... وكان ليث وغى المقْرِنِ طرَّاحا

وقالت عندما وصلت إلى بيت أهلها:

إذا الخيل سارت بعد صُلحٍ صدورها ... وخُوِّف أبنا وائلٍ وعشيرتها

تقطعت الأرحام منهم وبدّلتْ ضغائن حقدٍ بعد وُدٍّ صدورها
تبدد شملُ الحيِّ بعد اجتماعه وغادرنا من بعد هتكِ ستورها
فهاكم حريقُ النار تبدي شرارها فيقدحُ في كل البلاد سعيرها
فقوموا وداروا ما استطعتمُ ودافعوا عسى يقشعُ الإظلام عنكمُ نورها

أم ناشرة التغلبية

وناشرة ابنها تبناه همام بن مرة (البكري) فلما نشبت الحرب بين بكر وتغلب مال إلى قومه التغلبيين وقتل همامًا مربيه فقالت أمه:

ألا ضيَّع الأيتام طعنةُ ناشرهْ أناشر لازالت يمينك واترهْ
قتلت رئيس الناس بعد رئيسهمْ كليبٍ ولم تشكرْ وإني لشاكرهْ

سليمى بنت المهلهل

واسمه «عدي بن ربيعة» التغلبية

قالت ترثي أباها:

أعيني جودا بالدموع السوافح على فارس الفرسان في كلِّ صافحِ
أعيني إنْ تُغنِ الدموعُ فأوْكِفا دمًا بأرفاضٍ عند نوح النوائحِ
ألا تبكيان المُرتجى عند مشهدٍ يُثيرُ مع الفرسانِ نقع الأباطحِ
عديًا أخا المعروفِ في كلِّ شتوةٍ وفارسها المرهوب عند التكافحِ

زمتـهُ بنـاتُ الـدهر حتـى انتظمتـه ... بـسهم المنايـا إنهـا شرُّ رائـحِ
وقـد كـان يكفـي كـل وغـد مُواكـلٍ ... ويحفـظُ أسرار الخليـل المُناصـحِ
كـأن لم يكـن في الحـيِّ حيًّـا ولم يـرح ... إليـه عفـاةُ النـاس أو كـلُّ رائـحِ
ولم يدعـه في النكـبِ كـل مُكَبَّـلٍ ... لفـك إسـارٍ أو دُعـي عنـد صـالح
بكيتـك إن ينفـع ومـا كنـت بـالتي ... ستـسلوك يـابن الأكـرمين الجحـاجح

وقالت:

مُنِـعَ الرقـادُ لحـادثٍ أضـناني ... وونـى العـزاءُ فعـادني أحـزاني
لمـا سـمعتُ بنعـي فـارس تغلـبٍ ... أعنـي مهلهـل قاتـل الأقـرانِ
كفكفـتُ دمعـي في الـرداء تخالـه ... كالـدرِّ إن قارنتـه بجُمـانِ
جزعًـا عليـه وحـق ذاك لمثلـه ... كهـف اللهيـف وغيثـة اللهفـان
والمُرتجـى عنـد الـشدائد إن غـدا ... دهـرٌ حـرونٌ معـضلُ الحـدثان
والمـستغيثُ بـه العبـاد ومـنْ بـه ... يُحمـى الـذِّمارُ وجـوْرَةُ الجـيرانِ
لهفـي عليـه إن توسـط معـضلٌ ... حـصنُ العـشيرة ضـاربٌ بجـران
لهفـي عليـك إذا اليتـيمُ تخاذلـتْ ... عنـه الأقـارب أيـما خـذلان
فاذهـب إليـك فقـد حويـت مـن العُـلى ... يـابن الأكـارم أرجـح الرجحـانِ
فلأبكينَّـك مـا حييـتُ ومـا جـرتْ ... هوجـاءُ مُعطفـةٌ بكـلِّ مكـانِ

الهيفاء بنت صبيح القضاعية

قالت ترثي زوجها نوفلًا التغلبي:

أبكـــي وأبكـــي بأســـفارٍ وأظـــلام ... عـــلى فتًى تغلبـيِّ الأصـــلِ ضرغـــامِ
لهفـــي عليـــه ومـــا لهفـــي بنافعـــةٍ ... إلا تكـــافُحُ فرســـانٍ وأقـــوامِ
قـــل للحُجيـــبِ لحـــاك الله مـــن رجـــلٍ ... تحَلْـــتَ عـــارَ جميـــع النـــاس مـــن ســـامِ
أيقتُـــلُ ابنـــك بعـــلي يـــابن فاطمـــةٍ ... ويـــشربُ المـــاء؟ ذا أضـــغاثُ أحـــلامِ
والله لا زلـــتُ أبكيـــه وأندبُـــهُ ... حتـــى تـــزورك أخـــوالي وأعمامـــي
بكـــل أبســـمر لـــدن الكعـــبِ معتـــدلٍ ... وكـــلِّ أبـــيضَ صـــافي الحـــدِّ قمقـــامِ

وقالت تفتخر بأبيها:

الخيـــلُ تعلـــمُ يـــوم الـــروعِ إن هُزمـــتْ ... أن ابـــن عمـــروٍ لـــدى الهيجـــاء يحميهـــا
لم يُبْـــدِ فُحـــشًا ولم يُهـــددْ لمعظمـــةٍ ... وكـــلُّ مكرمـــةٍ يُلفـــى يُـــساميها
المستـــشار لأمـــرِ القـــومِ يحـــزيهم ... إذا الهنـــاةُ أهـــمَّ القـــوم مـــا فيهـــا
لا يرهـــب الجـــارُ منـــه غـــدرةً أبـــدًا ... وإنْ ألَمَّـــتْ أمـــورٌ فهـــو كافيهـــا

كرمة بنت ضلع
أم مالك بن زيد فارس بكر

كانت تهيج الرجال في الحرب بقولها منشدة مع النساء:

نحـــن بنـــاتُ طـــارقْ ... نمـــشي عـــلى الـــنمارقْ
مـــشي القَطـــيِّ البـــارق ... المِـــسْكُ في المفـــارقْ

والـــــدُّرُّ في المخـــــانقْ ... إن تُقْبلـــــوا نُعـــــانِقْ
أو تُـــــدبروا نفـــــارق ... فـــــراق غـــــير وامـــــقْ
عـــــرسُ المُـــــوَلِّي طـــــالقْ ... والعـــــارُ فيـــــه لاحـــــق

زينب اليشكرية

قُتل زوجها مالك بن فِند، وأبوها مُهرة بن الرائد، في حرب بكر وتغلب فقالت ترثيهما:

أتـــاحتكُمُ الـــدنيا لُمنـــتهشِ القنـــا ... كـــان لهـــا دُيِّنـــا بـــذلك آلـــتِ
أناخـــت علـــيكم خيـــلُ يـــومٍ كريهـــة ... فـــما إن تملوهـــا ولا هـــي ملَّـــتِ
تُحَمْحِـــمُ خيـــلٌ بعـــد خيـــلٍ تقـــدَّمتْ ... مـــصارُعكم فيهـــا مـــن الـــذل حلَّـــتِ
عـــلى مالـــك بـــن الفنـــدا أُرزاه حـــسرةٌ ... تُجـــدد لي حُزنًـــا إذا قلـــت ولَّـــت
أراني كـــسربٍ حيـــل عنـــه أليفـــه ... قـــوافزُه في مهمـــه الخَبْـــتِ ضـــلَّتِ

أم قرفة
زوجة حذيفة بن بدر الفزاري

وكانت عزيزة الجانب يضرب بعزها المثل:

قتل قيس بن زهير ابنها قرفة. وحمل ديته إلى أبيه فرضيها فلما علمت بذلك قالت ترثيه وتعير زوجها لقبوله الدية:

حذيفـــةُ لا ســـلمتَ مـــن الأعـــادي ... ولا وُقيـــــتَ شرَّ النائبـــــات

أيَقْتُلُ قِرفةً قيسٌ فترضى ... بأنعامٍ ونوقٍ سارحاتِ
أما تخشى إذا قال الأعادي ... حذيفةُ قلبُه قلبُ البناتِ
فخذ ثارًا بأطراف العوالي ... وبالبيض الجِدادِ المُرهفاتِ
وإلا خلّني أبكي نهاري ... وليلي بالدموعِ الجاريات
لعلَّ منيتي تأتي سريعًا ... وترميني سهامُ الحادثاتِ
فذاك أحبُّ من بعلٍ جبانٍ ... تكونُ حياتُهُ أردا الحياةِ
فيا أسفي على القتول ظلمًا ... وقد أمسى قتيلًا في الفلاةِ
تُرى طيرًا الأراكِ ينوحُ مثلي ... على أعلى الغصونِ المائلاتِ
وهل تجدُ الحمائمُ مثل وجدي ... إذا رُمِيَتْ بسهمٍ من شتاتِ
فيا يوم الرهانِ فُجِعْتُ فيه ... بشخص جاز عن حدِّ الصفاتِ
ولا زالَ الصباحُ عليك ليلًا ... ووجهُ البدرِ مسوَدُّ الجهاتِ
ويا خيل السباق سُقيت سمًّا ... مُذابًا في المياه الجاريات
ولا زالت ظهورُكِ مثقلاتٍ ... بصُمَّانِ الجبال الراسيات
لأن سباقكم ألقى علينا ... همومًا لا تزالُ إلى المماتِ

تُماضِرُ بنت الشديد السلمية
زوجة زهير بنت جذيمة مالك غطفان

قالت ترثي ابنها (مالك بن زهير العبسي) وكان قد قتله حذيفة بن بدر وقد قتلت يوم الهباءة قتلها حذيفة نفسه وقُتل هو أيضا في تلك الواقعة:

كأن العين خالطها قذاها ... لحزنٍ واقعٍ أنسى كراها

على ولدٍ وزين الناس طرًّا ... إذا ما النار لم تر من صلاها
لئن حزنتْ بنو عبسٍ عليهِ ... فقد فقدتْ به عبسٌ فتاها
فمن للضيفِ إن هبتْ شمالٌ ... مُزعزعةٌ يجاوبها صداها
أسيدكم وحاميكم تركتم ... على الغبراء منهدمًا رحاها
ترى الشمَّ الجحاجح من بغيضٍ ... تبدد جمعها في مُصطلاها
فيتركها إذا اضطربت بطعنٍ ... وينهبها إذا اشتجرت قناها
حذيفة لا سُقِيتَ من الغوادي ... ولا روَّتْك هاطلةٌ نداها
كما أفجعتني بفتًى كريمٍ ... إذا وُزنتْ بنو عبسٍ وفاها
فدمعي بعده أبدًا هطولٌ ... وعيني دائمٌ أبدًا بكاها

سلمى ابنة مالك بن بدر

وقد عاشت إلى زمن الإسلام واسلمت ثم ارتدت وقتلت بقرب الطائف قالت ترثي أباها وقد قتل أيام داحس والغبراء

ولله عينا من رأى مثل مالكٍ ... عقيرة قومٍ أن جرى فرسانِ
فليتهما لم يشربا قطُّ قطرةً ... وليتهما لم يجريا لرهانِ
أحلَّ به أمسِ الجُنَيدِبُ نذرَهُ ... فأيُّ قتيلٍ كان في غطفانِ
إذا سجعت بالرقمتين حمامةٌ ... أو الرسُّ فأبكي فارسَ الكتفانِ

وقيل: إن هذه الأبيات لعنترة (والكتفان اسم فرسه).

سمية زوجة شداد العبسي
خالة عنترة

قالت ترثي زوجها:

جفاني الكرى وأنا في الغسَقْ ... وساعدني الدمعُ لمّا اندفقْ
لفقدِ همامٍ مضى وانقضى ... وقد زاد مني عليه القلقْ
فمنْ بعد شداد يحمي الحريمَ ... إذا الحربُ قامت وسالَ العرَقْ
ومن يردعُ الخيل يوم الوغى ... ومن يطعنُ الخصم وسط الحدَقْ
ومن يكرمُ الضيفَ في أرضهِ ... ومن للمنادي إذا ما زعقْ
لقد صرتُ من بعده في ضنًى ... وقلبي لأجلِ الفراقِ احترَقْ

هند بنت حذيفة بن بدر الفزارية

قالت ترثي أخاها حصنَ بن حذيفة وكان قتل يوم وقعة حاجر، وتحرض قومها على الأخذ بثأره

تطاول ليلي للهموم الخواضرِ ... وشيبَ رأسي يومُ وقعةِ حاجرِ
لَعَمْري وما عمري عليَّ بهَيِّنٌ ... ولا حالفٌ برٌّ كآخر فاجرِ
لقد نال كُرزٌ يومَ حاجرَ وقعةً ... كفت قومه أخرى الليالي الغوابرِ
فللهِ عَيْنا مَنْ رأى مثله فتًى ... تناوله بالرمحِ كُرزُ بنُ عامرِ
فيالبني ذبيان بكوا عميدَكُمْ ... بكل رقيق الحدِّ أبيض باترِ
وكل رُدَيْنيٍّ أصمَّ كعوبُه ... ينوءُ بنضلٍ كالعقيقة زاهرِ
وكل أسيل الخدِّ طاوٍ كأنه ... ظليمٌ وجرداءِ النسالةِ ضامرِ

فإن أنتم لم تُصبحوا القوم غارةً ... يحدثُ عنها واردٌ بعد صادرِ
وترموا عَقْيلًا بالتي ليس بعدها ... بقاءٌ فكونوا كالإماءِ العواهرِ

ريطةُ بنت عاصم الهوازنية

قالت تبكي من قتل من قومها

وقفت فأبكتني بدار عشيرتي ... على رُزئهنَّ الباكيات الحواسرُ
غدوا بسيوفِ الهند ورَّادَ حومةٍ ... من الموت أعيا وِرْدَهن المصادرُ
كأنهم تحت الخوافق إذ غدوا ... إلى الموت أُسْدُ الغابتين الهواصرُ
فوارسُ حاموا عن حريمي وحافظوا ... بدارِ المنايا والقنا مُتشاجرُ
ولو أنَّ سلمى نالها مثل رُزئنا ... لَهُدَّتْ ولكنْ تحملُ الرُزْءَ عامرُ

ناجية بنت ضمضم
الذي قتله عنترة

قُتل هَرَم أخوها فقالت ترثيه:

يا لهفَ نفسي لهفةَ المفجوعِ ... ألا أرى هَرِمًا على مودوع[٢]
من أجْلِ سيدنا ومصرع جنبه ... علق الفؤادُ بحنظلٍ مجروعِ

وقالت:

دَعَتْهُ المنايا دعوةً فأجابها ... وجاورَ لحدًا خارجًا في الغماغمِ

---

(٢) مودوع: اسم فرسه.

عشية راحوا يحملون سريرَهُ ... تعاوِرُهُ أصحابُهُ في التزاحمِ
فإن بسكُ غالته المنايا ورَيبها ... فقد كان مِعطاءً كثير التَّرَاحُمِ

وقالت ترثي أباها:

الواهبُ المالَ التلا ... د لنا ويكفينا العظيمةْ
ويكونُ مِدْرهنا إذا ... نزلت مُجلّحَةٌ ذميمةْ
واحرَّ آفاقُ السماءِ ... ولم تقنع في الأرض ديمةْ
وتعذَّر الآكالُ حتى ... كان أحدها الهشيمةْ
لا ثلَّةٌ تُرعى ولا ... إبلٌ ولا بقرٌ مُسيمةْ
ألفيته مأوى الارامـ ... ـلِ والمُدَفَّعةِ اليتيمةْ
والدافعَ الخصمَ الألدَّ ... إذا تفُوضح في الخصومةْ
بلسانِ لقمانَ بن عادَ ... وفصلِ خُطبته الحكيمةْ
ألجمتهم بعد التدافعِ ... والتجاذبِ في الحكومةْ

الجيداء بنت زاهر الزبيدية

قالت ترثي زوجها خالد بن محارب الزبيدي وقد قتله عنترة:

يا لقومي قد قرَّح الدمعُ خدي ... وجفاني الرُّقادُ من عُظْمِ وجدي
كان لي فارسٌ سقاه المنايا ... عبدُ عبسٍ بجوْره والتعدي
بدرُ تمٍّ هوى إلى الأرض لمَّا ... رشقته السهامُ من كفِّ عبدِ
ورماني من بعد أنصار جُندي ... في همومٍ أكابدُ الوجدَ وحدي

يـــا قتـــيلًا بكـــتْ عليـــه البـــواكي ... في جبـــال الفـــلا وفي أرض نجـــدِ
كـــان مثـــل القـــضيبِ قـــدًّا ولكـــن ... قـــدَّه صرفُ دهـــرِهِ أي قـــدِّ
يـا لقـومي مـن يكـشفُ الـضيم عنـي ... ويُراعـي مـن بعـد خالـدَ عهـدي

العوراء بنت سبيع الذبيانية

قالت ترثي أخاها عبد الله:

أبكـــــي لعبـــــد الله إذ ... حُـــشَّتْ قُبَيْـــلَ الـــصبح نـــارهْ
طيَّـــانَ طـــاوي الكـــشحِ لا ... يُرخـــى لمُظْلمـــةٍ إزارُهْ
يعـــصي البخيـــل إذا أرا ... ـــد المجـــد مخلوعًـــا عِـــذارهْ

زينب
امرأة من غطفان

إذا حنَّـت الـشَّقراءُ هاجـتْ لي الهـوى ... وذكـــرني للحـــرَّتين حنينهـــا
شـكوتُ إليهـا نـأي قـومي وهجـرَهُمْ ... وتـــشكو إليَّ أن أُصـــيب جنينهـــا

حليمة الحضرية
من بني عبس

قالت ترثي زوجها:

بقـــرٌ لعينـــي أن أرى لمكانـــهِ ... ذرى عقـــدات الأجـــرعِ المتفـــاودِ

وأن أردِ الماءَ الذي شربتُ به ... سُلَيمى وإن مالْ السرى كل واحدِ
وألصقَ أحشائي ببردِ ترابهِ ... وإن كان مخلوطًا بسمِّ الأساودِ

ومن رثائها:

لقد كنتُ أخشى لو تمَلَّيتُ خشيتي ... عليك الليالي مرَّها وانفتالها
فأما وقد أصبحت في قبضة الردى ... فشأنُ المنايا فلتُصِبْ من بداها

دختنوس ابنة لقيطة بن زرارة

قالت ترثي أباها وقد قتل يوم شعب حبلة (بين عبس وذبيان) وكان من سعة الجاه وعز العشيرة في الذروة العليا

بكر النعيُّ بخير خندفَ ... كهلها وشبابها
وأضرها لعدوها ... وأفكها لرقابها
وقريبها ونجيبها ... عند الوغى وشهابها
ورئيسها عند الملوكِ ... وزينِ يوم خطابها
وأتمها نسبًا إذا ... رجعت إلى أنسابها
فرعٌ عمودٌ للعشيرةِ ... رافعٌ لنصابها
ويعولها ويحوطها ... ويذبُّ عن أحسابها
ويطيها مواطن للعدوِّ ... وكان لا يُمشى بها
فعلَ المُدلِّ من الأسودِ ... لحينها وتبابها
كالكوكبِ الدُّريِّ في ... ظلماءَ لا يخفى بها

عبث الأغرُّ به وكلُّ منيـ ـةٍ لكتابِها
فرَّت بنو اسد فرارَ الطـ ـيرِ عن أربابِها
لم يحفظوا حسبًا ولم يأ ووا لفيءِ عُقابِها
عن خيرِها نسبًا إذا نُسِبَتْ إلى أنسابِها
وهوازنٌ أصحابهم كالغأرِ في أذنابِها

وقالت في النعمان بن قهوس التميمي وكان من فرسان العرب:

فرَّ ابنُ قهوسٍ الشجاعُ بكفِّهِ رمحٌ مِتَلُّ
يعدو به خاظي البضيعِ كأنه سِمْعٌ أزَلُّ
ولأنت من تيمٍ فدَعْ غطفانَ إن ساروا وحلُّوا
لا منك عدُّهم ولا آباك إن هلكوا وذلوا
فخُر البغي بجِذْجِ ربْـ ـبَتِها إذا الناسُ استقلوا
لا جِذْجَها ركبت ولا لرعاك فيها مُستظلُّ
ولقد رأيتُ أباكَ وسـ ـط القوم يبزو أو يجلُّ
مُتَقَلِّدًا ربق الفرارِ كأنه في الجيدِ غِلُّ

وقالت:

كربُ ابنُ صفوانَ بن شَجْنَةَ لم يَدَعْ من دارمٍ أحدًا ولا من تَمْثَلِ
أجعلتَ يربوعًا كقورةِ دائرٍ ولتحْلِفَنْ بالله أنْ لم تَفْعَلِ

وقالت ترثي أباها الذي كان بنو عامر يضربونه بعد موته:

ألا ياهلا الويلاتُ ويلة من هوى بضرب بني عبسٍ لقيطًا وقد قضي
لقد عفَّروا وجهها عليه مهابةً وما تحفلُ الصمُّ الجنادلُ من ثوى

فلو أنكم كنتم غداة لقيتمُ ... لقيطًا ضربتم بالأسنةِ والقنا
عُذِرْتُمْ ولكن كنتمُ مثل ظبيةٍ ... أضاءَتْ لها القُنَّاصُ من جانب الشرا
فما ثأره فيكم ولكنَّ ثأرهُ ... شُرَيحٌ أَأَرْدَتهُ الأسنةُ أم هوى
فإن تُعْقِبِ الأيامُ من فارسٍ تكُنْ ... عليكُمْ حريقًا لا يُرامُ إذا سما
لنجزِيكم بالقتل قتلًا مُضعفًا ... وما في دماء الخمس يا مال من بوا
ولو قتلتنا غالبٌ كان قتلها ... علينا من العارِ للُجدعِ للعُلا
لقد صبرت للموتِ كعبٌ وحافظت ... كلابٌ وما أنتم هناك لمن رأى

وقالت أيضا:

لعمري لقد لاقتْ من الشقِ دارمٌ ... عناءً وقد رابتْ حميدًا ضرابُها
فما جبنوا بالشعبِ إذ صبرتْ لهم ... ربيعةُ يُدعى كعبُها وكلابُها
عَصَوا بسيوفِ الهندِ واعتُقِلَتْ لهم ... براكاءُ موتٍ لا يطيرُ غُرابُها

أم سنان
أم ربيعة بن مكدم

أصيب ولدها ربيعة بن مكدم فارس بني كنانة في حرب بني سليم فلحق بالظعائن حتى انتهى إلى أمه، فقال اجعلي على يدي عصابة فشدت العصابة على يده وهي تقول:

إنَّا بنو ثعلبة بن مالكْ ... مُرَزَّأُ أخيارنا كذلكْ
من بين مقتولٍ وبين هالكْ ... ولا يكونُ الرزءُ إلا ذلكْ

أم عمرو بنت مكدم

قالت ترثي أخاها ربيعة بن مكدم:

ما بال عينك منها الدمعُ مهراقُ ... سحًا فلا عازبٌ عنها ولا راقي

أبكي على هالكٍ أودى فأورثني ... بعد التفرُّقِ حُزْنا حرُّه باقي

لو كان يُرجعُ ميتًا وجدُ مشفقةٍ ... أبقى أخي سالمًا وجدي وإشفاقي

أو كان يُفدى لكان الأهل كلهمُ ... وما أُثمرُ من مالٍ له واقِ

لكن سهامُ المنايا من نُصْبنَ لهُ ... لم يُنجهِ طبُّ ذي طبٍ ولا راقي

فاذهب فلا يُبعدنك الله من رجلٍ ... لاقى الذي كلُّ حيٍّ مثله لاقِ

فسوف أبكيك ما ناحتْ مُطوَّقةٌ ... وما سَرَبْتُ مع الساري على ساقِ

أبكي لذكرته عبْرى مُفَجَّعَةً ... ما إن يجفُّ لها من ذكرةٍ ماقي

امرأة من غامد

قالت في هزيمة ربيعة بن مكدَّم لجمع من قومها:

ألا هلْ أتاها على نأيها ... بما فَضَحَتْ قومها غامدُ

تمنيتمُ مائتيْ فارسٍ ... فردَّكُمُ فارسٌ واحدُ

فليتَ لنا بارتباطِ الخيولِ ... ضأنًا لها حالبٌ قاعدُ

منفوسة بنت زيد الخيل
زوجة دريد بن الصمة

كانت ترقص ولدها وتغنيه بقولها:

أشبهْ أخي أو اشبهنْ أباكا ... أما أبي فلن تنالَ ذاكا

تقصرُ عن منالهِ يداكا

ريطة بنت جذل الطعان

كان ربيعة بن مكدم (يوم الظعينة) انكسر رمحه، فرآه دريد بن الصمة وهو خصمه، فقال: أيها الفارس إن مثلك لا يُقتل ولا أرى معك رمحًا، فدونك هذا الرمح، ورجع يثبط أصحابه عن ربيعة، فانصرف القوم ونجا ربيعة، ثم أغارت بنو كنانة، فأسروا دريد بن الصمة فأخفى نفسه ثم عرفته ريطة وهي زوجة ربيعة بن مكدم (وهي الظعينة) فقالت:

سنجزي دُريدًا عن ربيعة نعمةً ... وكل امرئٍ يُجزى بما كان قدَّما

فإن كان خيرًا كان خيرًا جزاؤه ... وإن كان شرًّا كان شرًّا مُذمما

سنجزيه نُعمى لم تكن بصغيرة ... بإعطائه الرمح الطويل المقوَّما

فقد أدركت كفَّاه فينا جزاءه ... وأهلٌ بأن يُجزى الذي كان أنعما

فلا تكفروه حقَّ نُعماه فيكمُ ... ولا تركبوا تلك التي تملأُ الفما

فلو كان حيًّا لم يضقْ بثوابهِ ... ذراعًا غنيًّا كان أو كان معدما

ففكوا دُريدًا من إسار مخارقٍ ... ولا تجعلوا البُؤسى إلى الشرِّ سُلَّما

فاطلقوه فكسته وجهزته ولحق بقومه.

عمدة بنت دريد بن الصمة

قالت ترثي أباها:

لَعَمْرُكَ ما خشيتُ على دُرَيْدٍ ... ببطنِ سميرةٍ جيشَ العَنَاقِ

جزى عنا الآلهُ بني سُلَيْمٍ ... وعقَّتْهم بما فعلوا عَقَاقِ

وأسقانا إذا سرنا إليهم ... دماءَ خيارهمْ يومَ السِّلاقِ

فرُبَّ عظيمةٍ دافعتُ عنهم ... وقد بلَغت نفوسهم التراقي

ورُبَّ كريمةٍ أعتقت منهم ... وأُخرى قد فككت من الوثاقِ

ورُبَّ مُنوَّهٍ بك من سُلَيْمٍ ... أجبتَ وقد دعاك بلا رماقِ

فكان جزاؤنا منهم عقوقًا ... وهنّا ماعَ منهُ مُخُّ ساقي

عفتْ آثارُ خيلك بعد أينٍ ... فذي بَقَرٍ إلى فيفِ النُّهاقِ

وقالت ترثيه أيضًا:

قالوا قتلنا دُرَيدًا قلتُ قد صدقوا ... وظلّ دمعي على الخدَّيْن يُنحدرُ

لولا الذي قهر الأقوام كلهم ... رأتْ سُلَيْمٌ وكعبٌ كيف تأتمرُ

إذًا لصبحهُمْ غِبًّا وظاهرهم ... حيث استقر نواهم جحفلٌ ذَفِرُ

جمل السلمية

ذهبت «الفزرُ» بإبلها فقالت:

بني الفزرِ ماذا تأمرون بهجمةٍ ... تلاثد لم تخلط بحيث نصابُها

تظلُّ لأبناءِ السبيلِ مناخةً ... على الماءِ يُعطى درُّها ورقابُها

أقول وقد وَلّوا بنهبٍ كأنه ... قدامِسُ حوضى رملها وهضابُها

أهفي على يومٍ كيومِ سويقةٍ ... شفى غلّ أكبادٍ فساغَ شرابُها

فإن لها بالليث حول ضريةٍ ... وعوذة زُلّا لا يُخاف اغتصابُها

بني عامر لا سَلْمَ للفِزْرِ بعدها ... ولا أمن ما حنّتْ لسفرٍ ركابُها

فكيف اختلابُ الفزرِ شولي وصبيتي ... أراملُ هزلى لا يحلُّ احتلابُها

وأربابُها بين الوحيد ومنعجٍ ... عكوفًا ترآءى سربها وقبابُها

ألم تعلمي يا فِزْرُ كم من مصابةٍ ... رهبنا بها الأعدا تاب منابها

وكل دلاصٍ بين نبرين أُحكمت ... على مرَّةِ العافين يجري حبابُها

وإن ربَّ جارٍ قد حَمَيْنا وراءَه ... بأسيافنا والحربُ يشري ذبابُها

وسئلت أي البلاد أحب إليك؟؟ فقالت:

ألم تعلمي يا دار ملحاً أنه ... إذا أجدبتْ أو كانْ خصبًا جنابُها

أحبُّ بلاد الله ما بين منعجٍ ... إليَّ وسلمى أن يصوب سحابُها

بلاد بها حلَّ الشباب تمائمي ... وأول أرض مسَّ جسمي ترابُها

سعدى بنت الشمردل الجهنية

قالت ترثي أخاها أسعد بن الشمردل:

أَمِنَ الحوادثِ والمنونِ أُروَّعُ ... وأبيتُ ليلي كلّه لا أهجعُ

وأبيتُ مُجلبةً أُبكي أسعدًا ... ولمثلِهِ تبكي العيونُ وتهمعُ

وتبينُ العينُ الطَّليحةُ أنها ... تبكي من الجزع الدخيل وتدمعُ

ولقد بدا لي قبلُ فيما قد مضى ... وعلمتُ ذاك لو أن علمًا ينفعُ

أن الحوادث والمنون كلاهما ... لا يُعتِيانِ ولو بكى من يجزعُ

ولقد علمتُ بأن كل مؤخرٍ ... يومًا سبيل الأولين سيتبعُ

ولقد علمتُ لو أن علمًا نافعٌ ... أن كلَّ حيٍّ ذاهبٌ فمودعُ

أفليس فيمن قد مضى لي عبرةٌ ... هلكوا وقد أيقنتُ أن لن يرجعوا

وبل أم قتلى بالرُّصافِ لو أنهم ... باعوا الرجاء لقومهم أو متعوا

كم من جميع الشمل ملتئم الهوى ... كانوا كذلك قبلهم فتصدَّعوا

قلتبك أسعدَ فتيةٌ بسباسبٍ ... أقووا وأصبح رأدهم يتمرَّع

جاد ابنُ مجدعة الكميُّ بنفسه ... ولقد يرى أن المكرَّ الأشنعُ

وبل أمهِ رجلًا بُليذُ بظهره ... أيلًا ونسَّالُ الفيافي أروعُ

بردُ المياهَ حضيرةً ونغيصةً ... وردَ القطاةِ إذا استمأَّل التَّبَّعُ

وبه إلى أخرى الصحاب تَلَفَّتْ ... وبه إلى المكروب جريٌ زُعزعُ

ويُكبرُ القدحَ العنودَ ويعتلي ... بأُلى الصحاب إذا أصاب الوعوعُ

سبَّاقُ عاديةٍ ورأسُ سرِيةٍ ... ومقاتلٌ بطلٌ وداعٍ مُسمِعُ

غدرت به بَهزٌ ناصبحَ جدُّها ... يعنو وأصبح جدُّ قومي يخشعُ

أجَعلْتَ أسعدَ للرماحِ دريئةً ... هبلتك أمك أي جردٍ ترتعُ
يا مُطْعِمَ الركبِ الجياعِ إذا هُمُ ... حشوا المطي إلى القرى وتسرَّعوا
وتجاهدوا سيرًا فبعض مطيهم ... حسرى مُخلّفةٌ وبعضٌ ظُلَّعُ
جوَّابُ أوديةٍ بغيرِ صحابةٍ ... كشافُ داويِّ الظلام مشيعُ
فجرى على إثر الذي هو قبلهُ ... وهي المنايا والسبيل المهيَعُ
هذا اليقين فكيف أنسى فقدهُ ... إن راب دهرٌ أو نبابي مضجعُ
إن تأته بعد الهدوءِ لحاجةٍ ... تدعو يجبك لها نجيبٌ أروعُ
متحلبُ الكفين أميثُ بارعٌ ... أنِفٌ طوالُ الساعدين سميذعُ
سَمْحٌ إذا ما الشوْلُ حاردَ رسلُها ... واستروح المرق النساءُ الجُوَّعُ
مَنْ بعدَ أسعدَ إن فُجعتُ بيومهِ ... والموتُ مما قد يُريبُ ويفجعُ
فوددتُ لو قُبلتْ بأسعد فديةٌ ... مما يظنُّ به المصابُ الموَجعُ
غادرته يوم اللقاء مُجادلًا ... خبرٌ لعمرُك يوم ذلك أشنعُ

أمامة العدوانية
بنت ذي الأصبع العدواني الشاعر الفارس المشهور

قالت تبكي قومها:

كم من فتًى كانت له مَيْعةٌ ... أبلجَ مثل القمرِ الزاهرِ
قد مرَّتِ الخيلُ بحافاتهم ... مرَّ الحيا بالجبل العاطرِ
قد لقيتْ فهمٌ وعدوانها ... قتلًا وهلْكًا آخر الغابرِ
كانوا ملوكًا سادةً في الورى ... دهرًا لها الفخرُ على الفاخرِ
حتى تساقوا كاسهُمْ بينهم ... بغيًا فيا للشاربِ الخاسرِ

بـــادوا فمـــن يحلُـــلْ بأوطـــانهمْ يحلُـــلْ برســـمِ مقفـــرٍ دائـــرِ

وكان لذي الأصبع العدواني بنات أربع قد عقلهن فلم يزوجهن، فاستمع إليهن مرةً فإذا بهن يتناجين بأمانيهن فقالت إحداهن:

ألا ليـت زوجـي مـن أُنـاس ذوي غنًـى حـديثُ الشـباب طيِّـب النـشرِ والـذكرِ
لـصوقٌ بأكبـادِ النـساءِ كأنـه خليفـة جـانٍ لا ينـامُ عـلى وتـرِ

وقالت الثانية:

ألا ليتـه يُعطـي الجـمالَ بدبثـةً لـه جنفـةٌ تـشقى بهـا النيـبُ والجُـزُرُ
لـه محكـمات الـدهر مـن غـير كـبرة تـشينُ فـلا فـان ولا ضرعٌ غمـرُ

وقالت الثانية:

ألا هـل تراهـا مـرةً وحليلهـا أشـمُّ كنـصلِ الـسيف عـين المهنَّـدِ
علـيًا بـأدواء النـساء ورهطـهُ إذا مـا انتمـى مـن أهـل بيتـي ومحتـدي

وقالت الرابعة: «زوج من عود خير من قعود».

فزوجهن جميعًا.

أسماء المرية

تزوجها رجل من تهامة ونقلها إليها، فقالت له: ما فعلت ريح من نجد كانت تأتينا يقال لها الصَّبا، ما رأيتها هاهنا؟ فقال: يحجزها عنا هذان الجبلان، فقالت:

أيـا جـبلَيْ نعـمانَ بـاللهِ خليَّـا نـسيمَ الـصبا يَخْلُـصْ إليَّ نـسيمها
فـإن الـصبا ريـحٌ إذا مـا تنفـستْ عـلى قلـبِ محـزونٍ تجلَّـتْ همومهـا

أجد بردها أو تشفِ مني حرارةً ... على كبدٍ لم يبق إلا صميمها
أيا جبلي وادي عُرَيعرة التي ... نأتْ عن نوى قومٍ وحمَّ قدومها
ألا خليّا مجرى الجنوب لعلهُ ... يُداوي فؤادي من جواه نسيمها
وكيف تُداوي الريحُ شوقًا مماطلًا ... وعينًا طويلًا بالدموعِ سُجومها
وقولا لركبانٍ تميميةٍ غدتْ ... إلى البيت ترجوُ أن تُحط جُرومها
بأن بأكنافِ الرُّغامِ غريبةً ... موّلهةً ثكلى طويلًا نئيمها
مقطعةً أحشاؤها من جوى الهوى ... وتبريح شوقٍ عاكف ما يريمُها

السلكة أم السليك

قالت ترثيه:

طافَ يبغي نجوةً ... من هلاكٍ فهَلَكْ
ليت شعري ضلّةً ... أيُّ شيءٍ قتلَكْ
أمريضٌ لم تُعدْ ... أم عدوٌّ ختلكْ
أم تولى بك ما ... غال في الدهر السُّبُلَكْ
والمنايا رصدٌ ... للفتى حيث سلكْ
أيُّ شيءٍ حسنٍ ... للفتى لم يكُ لكْ
كلُّ شيءٍ قاتلٌ ... حين تلقى أجَلَكْ
طالَ ما قد نلت في ... غير كدٍّ أمَلَكْ
إنَّ امرًا فادحًا ... عن جوابي شغلكْ
سأعزي النفسَ إذْ ... لم تُجبْ من سألكْ
أليتَ قلبي ساعةً ... صبرهُ عنك مَلَكْ

أليـــت نفـــسي قـــدمت للمنايـــا بَـــدلَكْ

أم الضحاك المحاربية

كانت تحب رجلًا من الضباب حبًّا شديدًا فطلقها. فقالت:

يـا أيهـا الراكـبُ الغـادي لطيتـهِ عـرّجْ أبثـك عـن بعـض الـذي أجِـدُ
مـا عـالجَ النـاسُ مـن وجـدٍ نـضمنهم إلا ووجـدي بـه فـوق الـذي وجـدوا
حـسبي رضـاهُ وأنّي في مـسرته ووُدّه آخـر الأيـام أجتهـدُ

وقالت:

لا يـأمنُ بعـدي عطيـةُ حـرةً مـن النـاس أو جـارٌ كـريمٌ يجـاورُهْ
وكنـتُ وإيـاه كـذي الكلـب لم يـزلْ يُـسمّنُه حتـى اسـتَدَرَّ يـساورهْ
فلـما أبـى إلا الحماقـة لم أَجِـدْ لـه مثـل مـا يُكـوى فيُـضج نـاظرُهْ

وقالت

سـألتُ المحبـين الـذين تحمَّلـوا تبـاريح هـذا الحـب في سـالف الـدهرِ
فقلـتُ لهـم مـا يُـذهب الحـب بعـدما تبـوأ مـا بـين الجـوانح والـصدرِ
فقـالوا شـفاءُ الحـبِّ حـبٌّ يزيلـه مـن آخـر أو نـأيٌ طويـلٌ عـلى هجـزِ
أو اليـأسُ حتـى تـذهل الـنفسُ بعـدما رجـتْ طمعـا واليـأس عـونٌ عـلى الـصبر

وقالت:

أرى الحـب لا يفنـى ولم يُفنـه الأولى أُحينـوا وقـد كـانوا عـلى سـالف الـدهرِ
وكلهـم قـد خالـه في فـؤاده بأجمعـه يحكـون ذلـك في الـشعر
ومـا الحـبُّ إلا سـمعُ أُذنٍ ونظـرةٌ وحنَّـةُ قلـبٍ عـن حـديثٍ وعـن ذكـر

ولـو كـان شيءٌ غـيره فنـي الهـوى ... وأبـلاهُ مـن يهـوى ولـو كـان من صخرِ

وقالت:

هـل القلـبُ إن لاقـى الـضبابيَّ خاليًـا ... لـدى الـركن أو عنـد الـصفا مُتحـرجُ
وأعجلنـا قـربُ الفـراقِ وبيننـا ... حـديثٌ كتنـشيج المريـضين مـزعجُ
حـديثٌ لـو أن اللحـم يُـشوى بحـرِّهِ ... طَرَيًـا أتـى أصـحابه وهـو مُنْـضَجُ

وقالت:

شـفاءُ الحـبِّ تقبيـلٌ وضـمٌّ ... وجـرٌّ بـالبطونِ عـلى البطـونِ
ورهـزٌ تهمُـلُ العينـان منـه ... وأخـذٌ بالمناكـب والقـرونِ

وقالت:

ألم تـرَ أهـلي يـا مغـيرَ كـأنما ... يفيئـون باللوَّمـاءِ فيـك الغنـائما
ولـو أن أهـلي يعلمـون تميمـة ... مـن الحـب تـشفي قلـبدوني الـتمائما

وقالت حين سلت عنه:

تعزّيـتُ عـن حُـبِّ الـضبابي حِقبـةً ... وكـلُّ عمايـا جاهـلٍ سـتثوبُ
يقـولُ خليـلُ الـنفسِ أنـتِ مُريبـةٌ ... كلانـا لعمـري قـد قـصدت مُريـبُ
وأريبنـا مـن لا يـؤدي أمانـة ... ولا يحفـظ الأسرار حـين يغيـبُ
ألهفًـا بـما ضـيعتُ وُدّي ومـا هفـا ... فـؤادي بمـن لمـن يـدر كيـف يثيـبُ

وقالت:

ولم أنتبـه حتـى وقفـتُ بغيـةٍ ... مـن الغـي ثـم انجـاب عنـي غطائيـا
فاقـصرتُ عـمّا تعلمـين ولا أرى ... أخـا غيـةٍ عنهـا انتهـى كانتهائيـا

هند بنت أسد الضبابية

قالت ترثي أخاها:

لقد مات بالبيضاء من جانب الحمى ... فتًى كان زينًا للمواكب والشُّرْبِ
يلوذُ به الجاني مخافة ما جنى ... كما لاذت العصماءُ بالشاهقِ الصعبِ
تظلُّ بنات العم والخال حولهُ ... صوادي لا يروين بالبارد العذبِ
يُهلنَ عليه بالاكفِّ من الثرى ... وما من قلًى يُحثى عليه من التُّرْبِ

مارية بنت الديان

قالت تحرض قومها وترثي مرة بن عاهان أحد سادة قومها وكانت قتلته بأهله:

قل للفوارس لا تَنِلْ أعيانهم ... من شرِّ ما حذروا وما لم يُحذرِ
التاركين أبا الحُصينِ وراءهم ... والمسلمين صلاءَة بن العنبرِ
لما رأيتُ الخيل قد طافت به ... شنجت شمالك في عنانا الأشقرِ
ولقد بكيتُ على شبابك حقبةً ... حتى كبرت وليت أن لم تكبرِ
يا معشر الأبناءِ إن فزتم بها ... فوز الزبيرةِ جمعنا لم يُثأرِ
فأبوكم قروٌ شرى كهلانكم ... وعمودكم صُلْبٌ كريمُ المكْسَرِ

ليلى بنت سلمة

قالت ترثي أخاها:

أقولُ لنفسي في خفاءِ ألومها ... لك الويل ما هذا التجلُّد والصبرُ

ألا تفهمين الخبرُ أن لستُ لاقيًا ... أخي إذ أتى من دون أكفانه القبرُ
وكنت أرى بيني به بعض ليلةٍ ... فكيف ببينٍ دون ميعاده الحشرُ
وهوّن وجدي أنني سوف أغتدي ... على إثره يومًا وإن طال بي العُمْرُ
فتًى كان يعطي السيف في الرَّوْع حقه ... إذا ثوب الداعي وتشقى به الجُزُرُ
فتًى كان يُدنيه الغنى من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويُبْعده الفقرُ
فتًى لا يعدُّ المال ربًّا ولا تُرى ... له جفوةٌ إن نال مالًا ولا كبرُ
فنعم مُناخ الركبِ إذا انبرت ... شمالٌ وأمست لا يُعرِّجُها سِترُ
ومأوى اليتامى المحلين إذا انتهوا ... إلى بابه شُعثًا وقد قحطَ القطرُ

وقالت ترثيه:

سقي الله قبرًا لستُ زائر أهله ... بيبشة إذ ما أدركته المقادرُ
تضمن خِرقًا كالهلال ولم يكن ... بأوّل خرقٍ ضُمنته المقابرُ
نعاه لنا الناعي فلم نلق عبرةً ... بلى حسرةً تبيضُّ منها الغدائرُ
كأني غداة استعلنوا بنعيه ... على النعش يهفو بين جنبي طائرُ
لعمري لما كان ابن سلْمَةَ عاجزًا ... ولا فاحشًا يخشى أذاه المجاورُ
نأتنا به ما إن قلبنا شبابه ... صروف الليالي والجدود العواثرُ

ليلى ابنة مرداس

زوجة سالم بن قحافة العنبري

كان زوجها كريمًا، وكان يهب الجمال لسائليه، ويقول لزوجته هاتي حبلًا يُقرن به الجمل، وما زال هذا دأبه حتى قالت له: لم يبق عندي حبل... فقال لها: عليَّ الجمال

وعليك الحبال، فرمت إليه بخمارها وقالت: اجعله حبلًا لبعضها، فانشد لها أبياتًا ينهاها بها أن تعذله على العطاء فأجابته:

حلفتُ يمينًا يابن قحفان بالذي ... تكفَّل بالأرزاق في السَّهْلِ والجبَل
ترال حبالٌ مُحصداتٌ أُعدها ... لها ما مشى منها على خُفه جَمَل
فأعطر ولا تبخلْ لمنْ جاء طالبًا ... فعندي لها خُطمٌ وقد زالت العِلَلْ

الغارعة بنت شداد
العذرية

قالت ترثي أخاها مسعودًا:

يا عينُ بَكّي لمسعود بن شدادِ ... بكاءَ ذي عبراتٍ شجوه بادي
يا من رأى بارقًا قد بتُّ أرمُقه ... يسري على الحرَّة السوداءِ فالوادي
برقًا تلألأ غوريًا جلستُ له ... ذات العشاء وأصحابي بأفنادِ
بتنا وباتت رياحُ الغورِ تُزجلُهُ ... حتى استتبَّ توالیه بأنجادِ
ألقى مراسي غيثٍ مسبلٍ غدقٍ ... دانٍ يسحُّ سُيويا ذات إرعادِ
أسقي به قبر من أعني وحبَّ به ... قبرًا إليَّ ولو لم يفدهِ فادي
من لا يذابُ له شحمُ السديف ولا ... يجفو العيالَ إذا ما ضُنَّ بالزادِ
ولا يجلُّ إذا ما حلَّ منتبذًا ... يخشى الرزيَّةِ بين المال والنادي
قوالُ محكمةٍ نقَّاضُ مُبرمةٍ ... فتاحُ مُبهمةٍ حبَّاسُ أورادِ
قتَّالُ مسغبةٍ وثَّابُ مرْقَبةٍ ... منَّاحُ مغلبةٍ فكَّاكُ أقيادِ
حلالُ مُمرعةٍ حمَّالُ مضلعةٍ ... نزَّاجُ مُفْظَعةٍ طلاعُ أنجادِ
حمَّالُ ألويةٍ شهَّادُ أنديةٍ ... شدادُ أوهيةٍ فرَّاجُ أسداد
جمَّاعُ كل خصالِ الخير قد علموا ... زينُ القرين نكالُ الظالم العادي

أبـــا زُرارة لا تبعـــد فكـــلُّ فتًـــى ... يومًـــا رهـــين صـــفيحاتٍ وأعـــوادِ
هـــلا ســـقيتُمْ بنـــي جُـــزْمٍ أســـيرَكُمُ ... نفـــسي فـــداؤك مـــن ذي كرْبـــةٍ صـــادي
نعـــمُ الفتـــى ويمـــين الله قـــد علمـــوا ... يخلـــو بـــه الحـــيُّ أو يغـــدو بـــه الغـــادي
هـــو الفتـــى يحمـــدُ الجـــيرانُ مـــشهده ... عنـــد الـــشتاءِ وقـــد هُمُّـــوا بإخمـــاد
الطـــاعنُ الطعنـــة الـــنجلاءَ يتبعهـــا ... مثعنجـــرٌ بعـــد مـــا تغـــلي بأزبـــادِ
والـــسابغُ الـــزَّق للأضـــياف أن نزلـــوا ... إلى ذراهُ وغيـــثُ المُحـــوْج الجـــادي
لاهِ ابـــن عمـــك لا انـــساك مـــن رجـــلٍ ... حتـــى يجـــيء مـــن القـــبر ابـــنُ ميَّـــادِ

وهيبة بنت عبد العزى

قالت ترثي زوجها وتوبخ الزبرقان بن بدر على عدم الأخذ بثأره:

متـــى تـــردوا عُكـــاظ تُوافقوهـــا ... بأســـماءٍ مجادُعهـــا قـــصارُ
أجـــيران بـــن ميَّـــةَ خـــبرُوني ... أعـــينٌ لابـــنِ ميَّـــة أو ضـــمارُ
تجلَّـــلَ خزيهـــا عـــوفُ بـــن كعـــبٍ ... فلـــيس لخلعهـــا منـــه اعتـــذارُ
فـــإنكمُ ومـــا تخفـــون منهـــا ... كـــذاتِ الـــشيبَ لـــيس لهـــا خِمـــارُ

العوراء اليربوعية

قالت تهجو يزيد بن الصَّعِق، جوابًا على شعر له من هذه القافية:

قعيـــدُك يـــا يزيـــدُ أبـــا قُبـــيس ... أتنـــذر كـــي تلاقينـــا النُّـــذورا
وتَوضـــعُ مجمـــر الركبـــان أنَّـــا ... وجُـــدنا في مـــراس الحـــرب خُـــوْرا
ألمْ تعلـــمُ قعيـــدُك يـــا يزيـــدُ ... بأنَّـــا نقمـــعُ الـــشَّيْخَ الفجـــورا
ونفقـــأُ ناظريـــه ولا نبـــالي ... ونجعـــلُ فـــوق هامتـــه الـــذُّرورا

فـأبلغ إن عرضـت بنـي كـلابٍ ... فإنّـا نحـن أقعـصنا بجـيرا
وضرجنـا عبيـدة بـالعوالي ... فأصـبح مونقًـا فينـا أسـيرا
أفخـرًا في الخـلاءِ بغـير فخـرٍ ... وعنـد الحـربِ خـوّارًا ضـجورا؟

عاصية البولانية

وبولان حي من طي

قالت ترثي قومها وكانوا قتلوا في غزاة:

أعـاصي جـودي بالـدموع السـواكب ... وبكّـي لـك الـويلات قَـتْلى نُحـازبِ
فلـو أنّ قـومي قتلـتهم عـمارةٌ ... مـن الـروات والـرءوس الـذوائبِ
صـبرنا لمـا يـأتي بـه الـدهر عامـدًا ... ولكـنّنا أثآرنـا في محـاربِ
قبيـلٌ لئـامٌ إن ظهرنـا علـيهمُ ... وإن يغلبونـا يُوجـدوا شرّ غالـبِ

ضاحية الهلالية

ألا لا أرى للـرائحين بـشاشةً ... إذا لم يكـن في الـرائحين (حبيـبُ)

ألم كثـيرٌ لمـةً ثُـمّ شـمّرَتْ ... بـه جلـةٌ يطْلُـبْنَ برقًـا مُعاليـا
ألا ليتنـا والـنفسُ تـسكنُ للمُنـى ... بـما أن نـوت أمـسى حبيـبٌ يمانيـا

وإني لأنـوي القـصد ثُـمّ يـردُّني ... عـن القـصدِ ميلاتُ الهـوى فأميـلُ
ومـا وجـدُ مـسجونٍ بـصنعاءَ موثـقٍ ... بـساقيه مـن حـبسِ الأمـير كُبُـولُ

وما ليلُ مولًى مُسْلِمٍ بجريرةٍ ... له بعد ما نام العيونُ عويلُ
بأكثر مني لوعةً يومَ راعني ... فراقُ حبيبٍ ما إليه وصولُ

زينب بنت مالك
أخت ملاعب الأسنة

قالت ترثي يزيد بن عبد المدان وكان قد أسر أخويها ثم مَنَّ عليهما فتذكرت صنيعه فقالت:

بكيت يزيد بن عبد المُدانِ ... خلَّتْ به الأرضُ أثقالها
شريك الملوك ومن فضلُهُ ... يُفضِّلُ في المجد أفضالها
فككت أسارى بني جعفرٍ ... وكِندةَ إذ نلتَ أقوالها
ورهطَ المجالدِ قد جلّلتْ ... فواضلُ نعماك أجبالها

وقالت ترثيه أيضًا

سأبكي يزيد بن عبد المُدانِ ... على أنه الأحلمُ الأكرمُ
رماحٌ من العزِّ مركوزةٌ ... ملوكٌ إذا برزتْ تحكُمُ

ولامها قومها على رثائها ليزيد فقالت:

ألا أيُّها الزاري عليَّ بأنني ... نزاريةٌ أبكي كريمًا يمانيا
وما لي لا أبكي يزيد وزَّدني ... أجرٌ جديدًا مذْرَعي وردانيا؟

زرقاء اليمامة واسمها عنز

وكانت مشهورة بحدة البصر

قالت تحذر قومها من عدوهم وأنه آت مختبئًا وراء الشجر:

خذوا حذاركمُ يا قومُ ينفعكم ... فليس ما قد أرى بالأمر يُحْتَقَرُ

إني أرى شجرًا من خلفها بشرٌ ... وكيف تجتمع الأشجارُ والبشرُ؟

ثوروا بأجمعكم في وجه أوَّلِهم ... فإن ذلك منكم فاعلموا ظَفَرُ

ضَموا طوائفكمْ من قبلِ داهيةٍ ... من الأمورِ التي تُخشى وتُنتظرُ

فقد زجرتُ سنيح القوم باكرةً ... لو كان يعلمُ ذاك القوم إذ بكروا

إني أرى رجلًا في كفه كتف ... أو يخصفُ النعل خصفًا ليس يعتسرُ

فغوروا كل ماءٍ قبل ثالثةٍ ... فليس من بعده وِرْدٌ ولا صَدَرُ

وعاجلوا القوم عند الليل إذ رقدوا ... ولا تخافوا لهم حربًا وان كثروا

وغوِّروا كل ماءٍ دون منازلهمْ ... فليس من دونه نحسٌ ولا ضررُ

ذبية بنت بيشة الفهمية

قالت ترثي قومها الذين قتلوا يوم (صُوْرَة)

ألا إن يوم الشرِّ يومٌ بصُوْرةٍ ... ويومُ فناءِ الدمعِ لو كان فانيا

لعمري لقد أبكت قُرَيْمٌ وأوجعوا ... بجرعة بطن الفيل من كان باكيا

قتلتم نجومًا لا يُحَوَّلُ ضيفهم ... ولا يذخرون اللحم أخضر ذاويا

عمادُ سمائي أصبحتْ قد تهدَّمتْ ... فخري سمائي لا أرى لك بانيا

الخنساء بنت التيَّحان

قالت تتشوق إلى جحوش الخفاجي

أمُنتذرٌ قتلي إن العينُ آنستْ ... سنا بارقٍ بالغورِ غور تهامِ

فلا زال مُنهلٌّ من الغيثِ رائحٌ ... يُقادُ إلى أهل القضا بزمامِ

ليشربَ منه جحوشٌ ويشمَّهُ ... بعيني قطاميٌّ أغرَّ شآمي

بنفسي وأهلي جحوشٌ وكلامُهُ ... وأنيابه اللاتي جلا بيشامِ

وألا إن وجدي بالخفاجي جحوشٍ ... برى الجسم مني فهو نِضْوُ سقامِ

وأُقسم إني قد وجدت بجحوش ... كما وجدت عفراءُ بابن حزامِ

وما أنا إلا مثلها غير أنني ... مؤجلة نفسي لوقت حِمامِ

وقالت:

وان ولوج البيت حلٌّ لجحوشٍ ... إذا جاءَ والمستأذنون نيامُ

فأهل الحجازِ معشرٌ قد كرهتهم ... وأهل الغضا قومٌ عليَّ كرامُ

وقالت:

وإنّ لنا بالشام لو نستطيعهُ ... خليلًا لنا يا تيحانُ مصافيا

تعد له الأيام من حُبِّ ذكرهِ ... ونحصي له يا تيحانُ الليالي

فليت المطايا قد رفعنك مُصعدًا ... تجوبُ بأيديها الحزُون الفيافيا

الخنساء بنت زهير بن أبي سلمى
الشاعر المشهور

قالت ترثي أباها:

وما يُغني توقي الموت شيئًا ... ولا عُقدُ التميمِ ولا الفُضارُ
إذا لاقى منيته فأمسى ... يُساقُ به وقد حبق الحِذارُ
ولاقاه من الأيسام يومٌ ... كما من قبل لم يخلُدْ قدارُ

جمعةُ بنت الخُسّ
(أخت هند) وهي من فاضلات النساء

قالت:

أشدُّ وجوه القول عند ذوي الحجا ... مقالةُ ذي لُبٍّ يقولُ فيوجِزُ
وأفضلُ غُنمٍ يُستفادَ ويُبتغى ... ذخيرةُ عقلٍ يحتويها ويُحرزُ
وخيرُ خِلالِ المرءِ صدقُ لسانه ... وللصدق فضلٌ يستبينُ ويبرُزُ
وإنجازُك الموعود من سبب الغنى ... فكن موفيًا بالوعدِ تُعطي وتُنجزُ
ولا خير في حُرٍّ يُريك بشاشةً ... ويطعنُ من خلفٍ عليك ويلمزُ
إذا المرءُ لم يسطع سياسة نفسه ... فإن به عن غيرها هُوَ أعجزُ
وكم من وقورٍ يقمعُ الجهل حلمُهُ ... وآخر من طيشٍ إلى الجهلِ يجمزُ
وكم من أصيلِ الرأي طلقٍ لسانه ... بصيرٍ بحسن القولِ حين يُميَّزُ
وآخر مأفونٍ يلوكُ لسانه ... ويعجُن بالكوعين نوكًا ويخبُزُ
وكم من أخي شر قد أوثق نفسهُ ... وآخر ذخر الخير يحوي ويكنزُ
يفرُّ الفتى والموتُ يطلبُ نفسَهُ ... سيدركه لا شك يومًا فيُجهزُ

وقالت:

رأيت بني الدنيا كأحلامِ نائمٍ ... وكالفيءِ يدنو ظله ثم يَقْلُصُ
وكلُّ مقيمٍ في الحياة وعيشها ... فلا شك يومًا أنه سوف يشخصُ
يفرُّ الفتى من خشية الموت والرَّدى ... وللموتُ حتفٌ كل حيٍّ سيغفصُ
أتاه حِمَامُ الموت يسعى بحتفه ... وقد كان مغرورًا بدنيا تربَّصُ
كأنك في دار الحياة مُخَلَّدٌ ... وقد بان منها من مضى وتقنَّصوا
لقد أفسدَ الدنيا وعيشَ نعيمها ... فجائعُ تترى تعتري وتنغصُ
ألا رُبَّ مرزوقٍ بغير تكلُّفٍ ... وآخر محرومٍ يجدُّ ويحرصُ

هند بنت الخُسّ
وهي من فضليات النساء صاحبات العقل والحكمة

قالت:

وجدتُ وخيرُ القول في الحكم نافعٌ ... ذوي الطول مما قد يُغمُّ ويُلْبَس
وليس الفتى عندي بشيء أعدُّه ... إذ كان ذا مالٍ من العقل مفلسُ
وذو الجُبْنِ مما يُسْعِرُ الحربَ نفخهُ ... يُهيجُ منها نارَها ثم يخْنَسُ
وكم من كثير المال يقبضُ كفَّهُ ... وكم من قليل المالِ يُعطي ويسْلِسُ
وكم من صغيرٍ تزدريه لعلَّهُ ... يهيجُ كبيرًا شرُّه مُتَجَسِّسُ
وكم من مُراءٍ ذي صلاحٍ وعفةٍ ... يُخاتلُ بالتقوى هو الذئب الاملس
وآخر ذي طِمْرين صاحب نيةٍ ... يجودُ بأعمالِ التُّقى ثم يَنْقُسُ
وكم من سفيهٍ للجماعةِ مفسدٍ ... يدبُّ لشرٍ بينهم ويُوَسْوِسُ
وذو الظلم مذمومٌ النثا ظاهرُ الخنا ... غنيٌّ عن الحُسنى وبالشر يعرسُ

وقالت:

لقد أيقنتْ نفسُ الفتى غير باطلٍ ... وإن عاش حيّنا أنه سوف يهلكُ
ويشربُ بالكأسِ الدُّعافِ شرابُها ... ويركبُ حدَّ الموتِ كرهًا ويسلُكُ
وكم من أخي دنيا يُثمّرُ ماله ... سيروثُ ذاك المال رغمًا ويتركُ
عليك بأفعالِ الكرامِ وليسنهم ... ولا تكُ مشكاسًا تلُجُّ وتمحكُ
ولا تكُ مزّاحًا لدى القوم لعبةً ... تظلُّ أخا هزءٍ بنفسك يضحكُ
تخوضُ بجهلٍ سادرًا في فكاهةٍ ... وتدخلُ في غيِّ الغواةِ وتشركُ
ألا رُبَّ ذي حظٍ يُصَرُّ فعلَهُ ... وآخرَ مصروفٌ به الحظُّ يُؤفَكُ

وقالت في مدح القلمس من حكماء العرب:

إذا الله جازى منعمًا بوفائه ... فجازاك عني يا قلمس بالكرمْ

ومن شعرها:

أَشِمُّ كنصل السيفِ جعدٌ مُرَجَّلٌ ... شُغفْتُ به لو كان شيءٌ مدانيا
وأُقسمُ لو خُيرتُ بين لقائه ... وبين أبي لاخترت أن لا أبا ليا

الخرنق بنت بدر
أخت طرفة بن العبد لأمه توفيت سنة ٥٧٠م

قالت تفتخر بزوجها بشر بن عمرو وصحابته:

لقد علِمتْ جَديلةُ أنَّ بشرًا ... غداةَ مُريح مُرُّ التقاضي
غداةَ أتاهمُ بالخيلِ شُعثًا ... يدق نسورها حدُّ القضاضِ
عليه كلُّ أصيَدَ تغلبيٌّ ... كريم مُرَكّبِ الحدين ماضِ
بأيديهم صوارمُ مرهفاتٌ ... جلاهـا القينُ خالصةُ البياضِ

وكـــلُّ مثقـــفٍ بـــالكفِّ لـــدنٍ ... وســـابغةٍ مـــن الحَلـــقِ المُفـــاضِ
فغـــادَ مَعْقِـــلًا وأخـــاهُ حِـــصنًا ... عفـــيرَ الوجـــهِ لـــيس بـــذي انتهـــاضِ

وقالت تبكي زوجها بشرًا بن عمرو وقد قُتل يوم قُلاب:

أَعـــاذلتي عـــلى رُزءٍ أفيقـــي ... فقـــد أشرقتنـــي بالعـــذلِ ريقـــي
فـــلا وأبيـــك آســـى بعـــد بـــشرٍ ... عـــلى حـــيٍّ يمـــوتُ ولا صـــديقِ
وبعـــد الخـــير علقمـــةَ بـــن بـــشرٍ ... إذا نـــزت النفـــوسُ إلى الحلـــوقِ
ومـــال بنـــو ضـــبيعة بعـــد بـــشرٍ ... كـــما مـــالَ الجـــذوعُ مـــن الحريـــقِ
مَنَـــتْ لهـــم بوائلـــة المنايـــا ... بجنـــبِ قُـــلابَ للحـــينِ المـــسوقِ
فكـــم بقُـــلابَ مـــن أوصـــالِ خِـــرْقٍ ... أخـــي ثقـــةٍ وجُمجمـــة فليـــقِ
نـــدامى للملـــوك إذا لقـــوهم ... حُبـــوا وسُـــقوا بكأســـهم الرحيـــقِ
هـــمُ جـــدعوا الأنـــوفَ وأرغموهـــا ... فـــما ينـــساغُ لي مـــن بعـــدُ ريقـــي

وقالت:

وبـــيض قـــد قعـــدن وكـــلُّ كُحْـــلٍ ... بـــأعينهنَّ أصـــبحَ لا يليـــقُ
أضـــاع قـــدورهن مُـــصابُ بـــشرٍ ... وطعنـــةُ فاتـــكٍ فمتـــى تُفيـــقُ؟

وقالت ترثي قومها الذين قتلوا يوم قلاب:

لا يبعـــدنْ قـــومي الـــذين هـــمُ ... سَـــمُّ العُـــداةِ وآفـــةُ الجُـــزْرِ
النـــازلين بكـــلِّ مُعـــتَرَكٍ ... والطيبـــون معاقـــدَ الأُزرِ
الـــضاربون بحومـــةٍ نزلَـــتْ ... والطـــاعنون وخـــيلُهم تجـــري
قـــومٌ إذا ركبـــوا ســـمعتَ لهـــمْ ... لغطًـــا مـــن التأبيـــه والزجـــرِ
مـــن غـــير مـــا فُحـــشٍ يكـــون بهـــم ... في مُنـــتجِ المُهـــراتِ والمهُـــرَ

إن يشربوا يهبوا وإن بذروا ... يتواعظوا عن منطقِ الهُجْرِ
لاقوا غداة قُلاب حتفهم ... سوق العتير يُساقُ للعترِ
هذا ثنائي ما بقيتُ لهم ... وإذا هلكت وجنّني قبري
الخالطون لجيرهم بنضارهم ... وذوي الغنى منهم بذي الفقرِ

قالت ترثي أخاها طرفة حين قُتل بأمر عمرو بن هند:

عَدَدْنا له خمسًا وعشرين حجةً ... فلما توفاها استوى سيدًا ضخما
فُجعنا به لما انتظرنا إيابهُ ... على خيرِ حالٍ لا وليدًا ولا قحما

وقالت ترثي زوجها (بشر بن عمرو):

وإن بني الحصنِ استحلّت دماءهم ... بنو أسدٍ حاربها ثُمَّ وإلبهْ
هم جدَّعوا الأنف الأشم فاوعبوا ... وجبُّوا السَّنام فالتحوهُ وغاربهْ
عُميلةُ يوّاه السنان بكفه ... عسى أن تلاقيه من الدهر نائبهْ

وقالت ترثيه:

ألا لا تفخرن أسدٌ علينا ... بيوم كان حينًا في الكتابِ
فقد قُطعتْ رءوس من قُعَيْنٍ ... وقد نُقعت صدورٌ من شرابِ
واردينا ابن حسحاسٍ فأضحى ... تجولُ بشلوهِ نُجسُ الكلابِ

وقالت:

سمعتْ بنو أسد الصياحَ فزادها ... عند اللقاءِ مع النفارِ نفارا
ورأتْ فوارسَ من صُليبةِ وائلٍ ... صبروا إذا نقعُ السنابكِ ثارا
بيضًا نُجززْنَ العظامَ كأنما ... يُوقدنْ في حلقِ المغافرِ نارا

وقالت:

ألا ذهـــبَ الحـــلّالُ في القفـــراتِ ... ومـــن يمـــلأُ الجفنـــات في الحجـــرات
ومـــن يُرجـــعُ الـــرمحَ الأصـــمَّ كعوبُـــه ... عليـــه دمـــاءُ القـــوم كالـــشقرات

وقالت تصف خروجه للصيد:

يـــا رُبَّ غيـــثٍ قـــد قـــرى عـــازبٍ ... أجـــشَّ أحـــوى في جُمـــادى مطـــيرْ
ســـار بـــه أجـــردُ ذو ميعـــةٍ ... عـــبلّا شـــواهُ غـــيرُ كـــابٍ عثـــورْ
فـــألبسَ الـــوحشَ بحافاتـــهِ ... والـــتقط البـــيض بجنـــبِ الـــسَّذيرْ
ذاك وقـــدمًا يُعجـــلُ البـــازل الكوـــ ... ـــماء بـــالموت كـــشبه الحـــصيرْ (م)
يبغـــي عليهـــا القـــوم إذ أرملـــوا ... وســـاء ظـــنُّ الألمعـــي القـــرورْ
آبَ وقـــد غـــنَّمَ أصـــحابه ... يلـــوي عـــلى أصـــحابه بالبـــشيرْ

وقالت حين طرد عمرو بن هند ابن مرثد:

ألا مـــن مبلـــغٌ عمـــرو بـــن هنـــدٍ ... وقـــد لا تعـــدمُ الحـــسناءُ ذا مـــا
كـــما أخرجتنـــا مـــن أرضِ صـــدقٍ ... تـــرى فيهـــا لمغتـــبطٍ مقامـــا
كـــما قالـــت فتـــاةُ الحـــيِّ لمـــا ... أحـــسَّ جنائهـــا جيـــشا لهُامـــا
لوالـــدها وأرأتـــه بليـــلٍ ... قطّـــا ولقـــلَّ مـــا تـــسري ظلامـــا
ألـــست تـــرى القطـــا منـــواراتٍ ... ولـــو تُـــرِكَ القطـــا أغْفَـــى ونامـــا

وقالت في عبد عمرو ابن عم طرفة:

أرى عبـــد عمـــروٍ قـــد أســـاط ابـــن عمـــهِ ... وأنـــضجهُ في غـــلي قـــدرٍ ومـــا يـــدري
فهـــلا ابـــن حـــسحاسٍ قتلـــتَ ومعبـــدًا ... همـــا تركـــاك لا تـــريثُ ولا تـــبري
همُـــا طعنـــا مـــولاك في عِطـــف صُـــلْبه ... وأقبلـــت مـــا تلـــوي عـــلى محجـــرٍ تجـــري

وقالت تهجو عبد عمرو (وهو الذي وشي بطرفة عند عمرو بن هند):

ألا ثكلتك أمُّك عبد عمرٍو ... أبالخزيات آخيتَ الملوكا

همُ دخُّوك للوركين دحًّا ... ولو سألوا لأعطيتَ البُروكا

فيومك عند مومسةٍ هلوكٍ ... كصلِّ الرَّجْعِ مزهرها ضحوكا

وقالت (وبعضهم ينسبها لطرفة):

عفا من آل ليلى السهبُ ... فالأملاحُ فالعَمْرُ

فعرقٌ فرماحٌ فاللوى ... من أهله قفرُ

وأُبليٌّ إلى الغراءِ ... فالمأوانِ فالحَجْرُ

فأمواهُ الدَّنا فالنجدُ ... فالصحراءُ فالنَّثْرُ

فلاةٌ ترتعيها العين ... فبالظلمانُ فالعُفْرُ

وقالت ترثي عبد عمرو:

ألا هلك الملوكُ وعبدُ عمرٍو ... وخُليتِ العراقُ لمن بغاها

فكم من والدٍ لك يا ابن بشرٍ ... تأزَّر بالمكارمِ وارتداها

بنى لكم مرثدٌ وأبوكَ بشرٌ ... على الشمِّ البواذخ من ذُراها

مية بنت ضرار الضبية

قالت ترثي أخاها قبيصة وكان أحد فرسان العرب المشهورين:

إنعي قبيصة للأضيافِ إن نزلوا ... وللطعانِ إذا خامَ العواويرُ

ما بات من ليلةٍ مذ شد مئزرهُ ... قبيصةُ بن ضرارٍ وهو موتورُ

ولا على ريبةٍ يوماً يُزنُّ بها ... ولا فقيرًا وما بالفقر تعييرُ

لا تعرفُ الكلمَ العوراءَ مجلسَهُ ... ولا يذوقُ طعامًا وهو مستورُ
الطاعنُ الطعنةَ النجلاءَ عن عُرُضٍ ... كأنها قبسٌ بالليل مسعورُ
التاركُ القِرْنَ مصفرًا أناملُه ... تحت العجاجة يُفي فوقه المورُ

وقالت:

لا تبعدنَّ وكل شيءٍ ذاهبٌ ... زين المجالس والنديُّ قبيصا
يطوي إذا ما الشحُّ أبهم فضله ... بطنًا من الزادِ الخبيثِ خميصا
وكأنه صقرٌ بأعلى مرباءٍ ... من كل مُرتباءٍ تراه شخيصا
يسرُ الشتاءِ وفارسٌ ذو قُدمةٍ ... في الحرب إن حاص الجبان مُحيصا

وقالت في أخيها:

لتجرِ الحوادثُ بعد امريءٍ ... بوادي أشائين أذلا لها
كريمٌ ثناهُ وآلاؤه ... وكافي العشيرة ما غالها
تراهُ على الخيل ذا قُدْمةٍ ... إذا سربل الدمُ أكفالها
وخالتْ وعولًا أشارى بها ... وقد أزهق الطعنُ أبطالها
ولم يمنع الحيَّ ربُّ القُوى ... ولم تُخْفِ حسناءُ خلخالها

جمل الضبابية
من بني كلاب

أُميمةُ لو رأيتِ غداةَ جئنا ... بحزمِ كراءَ ضاحيةً نسوقُ
مشينا شطرهُمْ ومشوا إلينا ... كمشي معاجلٍ فيه زهوقُ
كأن النبل وسطهم جرادٌ ... تكفئهُ ضحًى ريحٌ خريقُ

فألقينا القيّ وكان قتلًا ... وضرب الهامِ كُلًّا ما يذوقُ
وأما المشرقيُّ فكان حتفًا ... وأما المازني فلا يليقُ
بكل قرارةٍ غادرنَ خرقًا ... من القتيان مختلقٌ رقيقُ
وقد كلح المسافرُ فاستقلّتْ ... فُوَيْقَ لِثاتهم فالقومُ روقُ
فأشبعنا الضباعَ واشبعونا ... وأضحتْ كُلُّها بشمٌ نفوقُ
وأبكينا نساءهم وأبكوا ... نساءً ما يسوغُ لهنَّ ريقُ
تُعاوين الكلابَ بكل فجرٍ ... وقد صُحِلَتْ من النَّوحِ الحلُوقُ

زينب أم حسانة الضبية

زوجوها واحتملوها من البادية إلى الحضر، وسألوها يومًا أليس هذا الحضر أطيب مما كنت فيه بالبادية؟؟ فقالت:

أقول لأدنى صاحبيَّ أُسرُّه ... وللعين دمعٌ يُحدرُ الكُحل ساكبُهْ
لعمري لنهرٌ باللوى نازحُ القذى ... بعيدُ النواحي غير طرقٍ مشاربه
أحبُّ إلينا من صهاريج مُلئتْ ... للعبٍ ولم تملُخ لديَّ ملاعبُهْ
فأحبذا نجدٌ وطيبُ ترابهْ ... إذا هضبته بالعشيِّ هواضبُهْ
وريحُ صبا نجدٍ إذا ما تنسَّمَتْ ... ضحى أوسرت جُنْحَ الظلام جنائبُه
وأقسمُ لا أنساه ما دمتُ حيةً ... وما دام ليلٌ من نهارٍ يعاقبُه
ولا زال هذا القطرُ يُسفر لوعةً ... بذكراه حتى يترك الماء شاربُهْ

وجيهة بنت أوس الضبية

قالت:

وعاذلةٍ هبتْ بليلٍ تلومني ... على الشوقِ لم تمحُ الصبابة من قلبي
فما لي إن أحببت أرض عشيرتي ... وأبغضت طرفاءَ القصيبة من ذنبِ
فلو أن ريحًا بلغتْ وحي مرسلٍ ... حفيٌّ لناجيت الجنوب على النَّقْبِ
فقلتُ لها أدي إليهم رسالتي ... ولا تخلطيها طال سُعْدُك بالتُّرَبِ
فإني إذا هبتْ شمالًا سألتها ... هل ازداد صدَّاح النُّميرة من قربِ

أم قيس الضبية

قالت ترثي ولدها المدعو بابن سعد:

من للخصوم إذا جد الضجاجُ بهم ... بعد ابن سعدٍ ومن للضُّمَّرِ القودِ
ومشهدٍ قد كفيتَ الغائبين به ... في مجمع من نواصي القوم مشهودِ
فرَّجته بلسانٍ غير مُلتبسٍ ... عند الحفاظِ وقلبٍ غير مزؤودِ
إذا قناة امرئٍ أزرى بها خورٌ ... هز ابن سعدٍ قناةً صُلبةَ العودِ

وقالت ترثي ابنًا لها:

يا سيف ضبةَ لا يُعضُّك بعده ... أبدًا نتى بجماجم الأقرانِ
جاء الفوارسُ جانبيَ جوادهُ ... وأقام فارسُه فتى الفتيانِ

ريطة بنت عاصية

قالت ترثي أخاها عمرًا وكان شجاعًا كريمًا:

يـا لهـف نفـسي لهفًـا دائـمًا أبـدًا ... عـلى ابـن عاصـية المقتـول بـالوادي
إذ جـاء يـنفض عـن أصـحابه طفـلًا ... مـشي الـسبتى أمـام الأيكـة العـادي

ومع هذه الأبيات أبيات تنسب للقارعة بنت شداد

وقالت وقد أُخذت أسيرة في نساءٍ من قومها في حال وضيعة:

ألاَمـتْ سُـليمٌ في الـسياق وأفحـشتْ ... وأفـرط في الـسوقِ العنيـف إسـارها
لعـل فتـاةً مـنهم أن يـسوقها ... فـوارسُ منـا وهـي بـادٍ شـوارها
فـان سـبقت عُلْيـا سُـلَيْمٍ بـذحلها ... خزاعـة أو فاتـت فكيـف اعتـذارها
ألا ليـت شـعري هـل أرى الخيـلَ شُـزَّبًا ... تُثـيرُ عجاجًـا مـستطيرًا غُبارهـا
فترقـا عيـونٌ بعـد طـولِ بكائهـا ... ويغـسلُ مـا قـد كـان بـالأمس عارهـا

وقالت:

شـبتْ هُـذيْلٌ وبهـزٌ بينهـا تـرةٌ ... فـلا تبـوخ ولا يرتـدُّ صـاليها
أن ابـن عاصـية المقتـول بيـنكما ... خـلَّى عـليَّ فجاجًـا كـان يحميهـا
المـانعُ الأرض ذات العـرضِ خـشيتهُ ... حتـى تمنـعَ مـن مرعـى مجانيهـا
وليلـةٍ يـصطلي بـالفرثِ جازُرهـا ... حـيرى جُماديـةٍ قـد بـتَّ تـسريها
لا ينـبح الكلـبُ فيهـا غـير واحـدةٍ ... مـن القـريس ولا تـسري أفاعيهـا
كانـت هُـذيل تمنـى قتلـه سَـلمًا ... فقـد أُجيبـتْ فـلا تعجـل أمانيهـا

أم موسى الكلابية

زوجها أبوها ونقلها زوجها إلى حُجْر من بلاد اليمن فقالت:

قـد كنـتُ أكـره جُحْـرًا أن أعـيش بهـا ... وأن أعـيش بـأرضٍ ذات حيطـانِ

يـا حبـذا الغـرفُ الأعـلى ومـاكنه ... ومـا تـضمن مـن مـاءٍ وعيـدانِ
أبيـتُ أَرقـبُ نجـم الليـل قاعـدةً ... حتـى الـصباح وعنـد البـاب عجـلانِ
لـولا مخافـةُ ربي أن يعـالجني ... لقـد دعـوت عـلى الـشيخ بـن حيـانِ[٣]

وقالت:

ولله دري أيُّ نظـرة نـاظرةٍ ... نظـرتُ ودوني طخفـةٌ ورجامهـا
هـل الـباب مفـروج فـانظر نظـرةً ... بعنـي أرضًـا عـزَّ عنـدي مرامهـا
فيـا حبـذا الـدهنا وطيـبُ ترابهـا ... وأرضٌ فـضاءٌ يـصدحُ الليـل هامُهـا
ونـصُّ العـذارى بالعـشيات والـضحى ... إلى أن بـدت وحـي العيـون كلامُهـا

زوجة أبي العاج الكلبي

هجاها زوجها في شعر فأجابته:

شـنئتُ الـشيوخ وأبغـضتهم ... وذلـك مـن بعـض أفعاليـةْ
تـرى زوجـة الـشيخ مُغـبرةً ... وتُمـسي لـصُحبته قاليـةْ
فـلا بـارك الله في عـرده ... ولا في عظـام اسـته الباليـةْ

زهراء الكلابية

قالت ترثي زوجها:

تأوَّهـت مـن ذكـرى ابـن عمـي ودونـه ... نقًـا هائـلٌ جعـدُ الثـرى وصـفيحُ
وكنـتُ أنـامُ الليـل مـن ثقتـي بـه ... وأعلـم أن لا ضـيم وهـو صـحيحُ

---

(٣) وابن حيان هو أبوها.

فأصبحتُ سالمتُ العدوَّ ولم أجدْ ... من السِّلمِ بُدًّا والفؤادُ جريحُ

سعدى الأسدية

أحبها ابن عمها فمنعه أبوه من الزواج بها، وزوجها أبوها من رجل آخر فاشتد وجد ابن عمها فأرسل لها بيتين يشكو فيهما حبه فأجابته:

حبيبي لا تعجلْ لستفهم حُجَّتي ... كفاني ما بي من بلاءٍ ومن جهدِ

ومن عبراتٍ تعترينـي وزفرةٍ ... تكادُ لها نفسي تسيلُ من الوجدِ

غلبت على نفسي جهارًا ولم أُطِقْ ... خلافًا على أهلي بهزلٍ ولا جِدِّ

ولن يمنعوني أن أموت بزعمهم ... غدًا خوف هذا العار في جدثٍ وحدي

فلا تنس أن تأتي هناك فتلتمس ... مكاني فتشكو ما تحملت من جهدِ

فجاءها في الموعد فوجدها ميتةً، فاحتملها إلى شعب بذرى جبل وضمها ملتزمًا لها فماتا، ثم إن بعضهم وجدهما فأخبر عنهما فدفنوهما.

غنية بنت عفيف
أم حاتم الطائي

كانت فياضة اليد فلا تبقي شيئًا، فبددت ثروتها على السائلين والضيوف، فحجر إخوتها عليها مالها، حتى إذا وجدت ألم الفقر أعطوها طائفة من إبلها، فجاءتها امرأة تسألها، فقالت لها: دونك هذه الإبل فخذيها، فوالله لقد عضني الجوع مالا أضيع معه سائلًا وقالت:

لعمرُك قدمًا عضني الجوعُ عضةً ... فآليت أن أمنع الدهر جائعًا

فقولا لهذا اللائمي اليوم أعفني ... وإن أنت لم تفعل فعضَّ الأصابعا

فماذا عساكم أن تقولا لأختكم ... سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا
ولا ما ترون الخُلْق إلا طبيعةً ... فكيف بتركي يا ابن أُمّ الطبائعا؟

امرأة طائية

قالت ترثي زوجها:

تأوَّب عيني نُصبُها واكتئابها ... ورَّجيتُ نفسا راث عنها إيابها
أعلِّلُ نفسي بالمُرَجِّ غيبهُ ... وكاذبتها حتى أبان كِذابُها
أُهفي عليك ابن الأشد لبهمةٍ ... أفرَّ الكماة طعنها وضرابُها
متى يدعهُ الداعي إليه فإنه ... سميعٌ إذا الآذانُ صُمَّ جوابُها
هوا الأبيض الوضاح لو رُميت به ... ضواحٍ من الريان زال هضابها

أم جميل بنت أمية

قالت:

زين العشيرة كلها ... في البدو منها والحضرْ
ورئيستها في النائبات ... وفي الرجال وفي السفرْ
ورث المكارم كلها ... وعلا على كل البشرْ
ضخم الدسيعة ما جد ... يعطي الجزيل بلا كدرْ

أم بسطام بن قيس الشيباني

قالت ترثي ولدها بسطام بن قيس وكان من متقدمي الفرسان المشهورين في الجاهلية وقد قتل في الحرب (يوم الشقيقة):

تبك ابن ذي الجدين بكرُ بن وائلٍ ... فقد بان منها زينها وجمالها
إذا ما غدا فيها غدوا وكأنهم ... نجومُ سماءٍ ينتهنَّ هلالها
فلله عينا من رأى مثله فتًى ... إذا الخيلُ يوم الروع هبَّ نزالها
عزيزٌ مكرٌّ لا يُهدُّ جناحه ... وليثٌ إذا الفتيان زلَّتْ نعالها
وحمّالُ أثقالٍ وعائدُ مججرٍ ... تُحلُّ لديه كل ذاك رحالها
سيبكيك عانٍ لم يجد من يفكهُ ... وتبكيك فرسانُ الوغى ورجالها
وتبكيك أسرى طالما قد فككتهم ... وأرملةٌ ضاعت وضاع عيالها
مُفرّجُ حومات الخطوب ومدركُ الحروب ... إذا صالت وعزَّ صيالها
تغشى بها حينًا كذاك فُجِّعتْ ... تميمُ بها أرماحها ونبالها
فقد ظفرت منا تميمُ بعشرةٍ ... وتلك لعمري عشرةٌ لا تُقالها
أُصيبتْ به شيبان والحي يشكرٌ ... وطير يرى أرسالها وحبالها

زينب بنت فروة بن مسعود الشيباني

قالت ترثي أباها وقد قتل في وقعة (عين أباغ):

(بعين أباغ) قاسمنا المنايا ... فكان قسيمها خير القسيم
وقالوا ماجدًا منكم قتلنا ... كذاك الرمح يكلفُ بالكريم

زينت بنت فروة التميمية

قالت تفخر بأمها الأعجمية:

وإن ابنة الدهقان كسرى تنولت ... بطعن الكماةِ واختلاس المعابلِ
ولم يحتطب أمي على غير ثُلَّةٍ ... ولم يحتطب إلا بطعن المقاتلِ

إلى المـــوردات المـــوت والمـــصدراته ... أُولات المنـــون كـــالقني الـــذوابل
فطـاردت لـوادي الزنـد لا واهـي القـوى ... ولا بـــرمٍ نكـــسٍ كثـــير الغوائـــلِ
مـن اللابـسات الـريط زهـراء لم تبـت ... تحـشُّ مـع الآمـاءِ وقـود المراجـلِ
ولم يُـــر في أفنـــاءِ مُـــرَّةَ مثلهـــا ... ولا عنـــد قيـــسيٍّ غنيمـــة قافـــلِ

وقالت في بنتيها:

وقائلـــةٍ ياليـــت أني شـــهدتهم ... أجـــلْ لا ولكـــن في العديـــد المـــؤخرِ
ولـــو شـــهدتْ يـــوم الكنيـــسة بـــذَّهُمْ ... جمـــالَ رجـــالٍ في الكنيـــسةِ حُـــضَّرِ
كـــأن جلابيبًـــا علـــيهن قُنعـــتْ ... شـــماريخ عـــرٍ في ســـحاب كنهـــورِ
وكـــلُّ قطـــوف المـــشي رود شـــبابُها ... أذا مـــا مـــشت مرتجـــة المتـــأزر
خراعيـــبُ يمـــودٌ كـــأن شـــبابها ... ســـدائمُ شـــحمٍ أو أنابيـــب عنقـــرِ

عبلة بنت خالد التميمية

كانت عند رجل من بني جُشم اسمه مِحْجَن فبعثها بأنحاء سمن لتبيعها له في عُكاظ، فباعت السمن والراحلتين وشربت بثمنها الخمر، فلما نفد المال رهنت ابن أخيه وهربت وقالت:

شربـــتُ براحلتـــي محجـــنٍ ... فيـــا ويلتـــي محجـــنٌ قـــاتلي
وبـــابن أخيـــه عـــلى لـــذةٍ ... ولم أحتفـــلُ عذلـــة العـــاذلِ

امرأة من بني عامر بن صعصعة

قالت تتشوق إلى أهلها وبلادها

سقيًا ورعيًا لأيامٍ تُشوقنا ... من حيث تأتي رياحُ الهيف أحيانا
تبدو لنا من ثنايا الضُمْر طالعةً ... كأن أعلامها جُلّلنَ تيجانا
هيفٌ يلذُّ لها جسمي إذا نَسَمَتْ ... كالخضرمي هنا مسكًا وريحانا
يا حبذا طارقٌ وهنًا ألمّ بنا ... بين الذراعين والأخراب من كانا
شبهت لي مالكًا يا حبذا شبهًا ... أما من الإنس أو ما كان جنّانا
ماذا تُذكّر من أرض يمانيةٍ ... ولا تُذكّرُ من أمسى بجوزانا
عمدًا أُخادعُ نفسي عن تذكركم ... كما يُخادع صاحي العقل سكرانا

ريطة بنت العباس السلمي

قتل بنو خشعم أخاها فقالت ترثيه:

لعمري وما عمري عليَّ بهينِ ... لنعم الفتى أرديتمُ آل خشعما
وكان إذا ما أورد الخيل بيشةً ... إلى هضبِ أشراجٍ أناخ فألجما
فأرسلها رهوًا رعالًا كأنها ... جرادٌ زهته ريحُ نجدٍ فأتهما
فأمسى الحوامي قد تعفين بعده ... وكان الحصى يكسو دوابرها دما
فآبت عشاءً بالنهاب وكلها ... يُرى قلقًا تحت الرحالة أهضما
وكانت إذا ما لم تُطارد بعاقلٍ ... أو الرس خيلًا طاردتها بعيها
وكان ثمال الحي في كل أزمةٍ ... وعصمتهم والفارس المتغشما
وينهض للعليا إذا الحرب شمّرتْ ... فيُطفئها قهرًا وإن شاء أضرما
فأقسمتُ لا أنفكُّ أُحدرُ عبرةً ... تجودُ بها العينان مني لتسجما

كبشة
أخت عمرو بن معديكرب الزبيدية

قالت تعير أخاها عمرًا لقعوده عن أخذ ثأر أخيه عبد الله:

وأرسل عبد الله إذ حان يومه ... إلى قومه لا تعقلوا لهم دمي
ولا تأخذوا منه إفالًا وأبكُرًا ... وأُتركَ في بيت بصعدة مظلمِ
ودع عنك عمرًا إن عمرًا مسالمٌ ... وهل بطنُ عمروٍ غير شبرٍ لمطعم
فإن أنتم لم تثأروا واتّديتمُ ... فمشوا بآذان أعقابهنَّ من الدَّمِ
ولا تردوا إلا فضول نسائكم ... إذا ارتملت أعقابهنَّ من البَدَمِ
جدعتم بعبد الله آناف قومه ... بني مازن إن سُبَّ ساقي المُحزَّمِ

أم صريع الكندية

قالت ترثي قومها وقد ماتوا في وقعة يوم جيشان:

سقى مستهلُّ الغيث أجداث فتيةٍ ... بجيشان ولينا نحورهم الدما
صلوا معمعان الحرب حتى تخرموا ... مقاحيم إذهاب الكماةُ التقحما
هوت أمهم ماذا بهم يوم صُرعوا ... بجيشان من أسباب مجدٍ تصرَّما
ولمَّا اكفهرت من عليهم سحابةٌ ... إذا برقت بالموتِ أمطرتِ الدَّما
أبوا أن يفروا والقنا في نحورهم ... ولم يبتغوا من رهبة الموت سُلما
ولو أنهم فروا لكانوا أعزةً ... ولكن رأوا صبرًا على الموت أكرما

ونشزت على زوجها مرة فقالت:

كأن الدار يوم تكون فيها ... علينا حفرةٌ مُلئت دخانا

فليتـــك في ســـفين بنـــي عبـــاد ... طريـــدًا لا نـــراك ولا ترانـــا
وليتـــك غائـــبٌ بالهنـــد عنَّـــا ... وليـــت لنـــا صـــديقًا فاقتنانـــا
ولـــو أن النـــذور تكـــف منـــه ... لقـــد أهـــديتها مائـــةً هجانـــا

صفية الباهلية

قالت ترثي أخاها:

عـــشنا جميعًـــا كغُـــصني بانـــة ســـمقا ... حينًـــا عـــلى خـــير مـــا تنمـــى لـــه الـــشجرُ
حتـــى إذا قيـــل قـــد طالـــت فـــروعهما ... وطـــاب قِنواهمـــا واستنـــضر الثمـــرُ
أخنـــى عـــلى واحـــدٍ ريـــب الزمـــان ومـــا ... يُبقـــي الزمـــان عـــلى شيءٍ ولا يـــذرُ
فاذهـــب حميـــدًا عـــلى مـــا كـــان مـــن أثـــرٍ ... فقـــد ذهبـــت وأنـــت الـــسمعُ والبـــصرُ
ومـــا رأينـــك في قـــومٍ أُسرُّ بهـــم ... إلا وأنـــت الـــذي في القـــوم تُـــشتهرُ
كنـــا كـــأنجم ليـــلٍ بينـــا قمـــرٌ ... يجلـــو الـــدجى فهـــوى مـــن بيننـــا القمـــرُ

جنوب
أخت عمرو ذي الكلب الهُذلي

قالت ترثي أخاها:

كـــل امـــرئٍ بمحـــال الـــدهر مكـــذوبُ ... وكـــلُّ مـــنْ غالـــب الأيـــام مغلـــوب
وكـــل قـــومٍ وإن عـــزوا وإن ســـلموا ... يومًـــا طـــريقهم في الـــشرِّ دُعبـــوبُ
بينـــا الفتـــى نـــاعمٌ راضٍ بعيـــشته ... ســـيق لـــه مـــن نـــوادي الـــشر شُـــؤبوبُ
يلـــوي بـــه كـــل يـــومٍ ليـــةً قَـــذَفًا ... فالمنـــسان معًـــا دامٍ ومنكـــوبُ
وكـــل مـــن غالـــب الأيـــام مـــن أحـــدٍ ... مـــودٍ فمدركـــه الـــشبانُ والـــشيبُ

أبلـغ بنـي كاهـل عنـي مُغلغلـةً ... والقـومُ مـن دونهـم سـعيٌ ومركـوبُ
والقـومُ مـن دونهـم أيـنٌ ومـسبغةٌ ... وذاتُ ريـدٍ بهـا رضـعٌ وأسـلوبُ
أبلـغ هـذيلًا وأبلـغ مـن يُبلغهـا ... عنـي حـديثًا وبعـض القـول تكـذيبُ
بـأن ذا الكلـب عمـرًا خـيرهم حـسبًا ... بـبطن شريـان يعـوي حولـه الـذئبُ
الطـاعنُ الطعنـة النجلاءَ يتبعهـا ... مثعنجـرٌ مـن نجيـع الجـوفِ أسكوبُ
والتـاركُ القِـرْنَ مـصفرًا أناملـهُ ... كأنـه مـن رجيـع الجـوفِ مخـضوبُ
تمـشي النـسورُ إليـه وهـي لاهيـةٌ ... مـشي العـذارى عليـهن الجلابيـب
والمخـرجُ الكاعـب العـذراءَ مذعنـةً ... في الـسبي يـنفحُ مـن أردانهـا الطيـبُ
فلـن تـروا مثـل عمـرٍو مـا خطـت قـدمٌ ... ومـا اسـتحنت إلى أوطانهـا النيـبُ

وقالت أيضًا:

يـا ليـت عمـرًا ومـا ليـتٌ بنافعـةٍ ... لم يغـزُ فهـمًا ولم يهـبط بواديهـا
شـبَّتْ هُـذيلٌ وفهـمٌ بيننـا إرة ... مـا إن تبـوخ ومـا يرتـدُ صـاليها
وليلـةٍ يـصطلي بـالقرث جازرهـا ... يخـتص بـالنفر المثـرين داعيهـا
لا ينـبحُ الكلـبُ فيهـا غـير واحـدةٍ ... حتـى الـصباح ولا تـسري أفاعيهـا
أطعمـت فيهـا عـلى جـوعٍ ومـسغبةٍ ... شـحم العـشار إذا مـا قـام باغيهـا

وقالت أيضًا:

سـألتُ بعمـرٍو أخـي صـحبةُ ... فـأفظعني حـين ردوا الـسؤالا
فقـالوا أُتـيح لـه نـاتمًا ... أعـزُّ الـسباع عليـه أحـالا
أُتـيح لـه نمـرا أجيُـلٍ ... فنـالا لعمـرك منـه منـالا
فأُقـسمُ يـا عمـرو لـو نبهـاك ... إذًا نبهـا منـك أمـرًا عُـضالا

إذًا نبهـــا غـــير رعديـــدةٍ ... ولا طائـشًا رعـشًا حـين صـالا

إذًا نبهـــا ليـــث عريـــسةٍ ... مفيـــدًا نفوسًـــا وخـــيلًا ومـــالا

هزبـــرًا فروسًـــا لأعدائـــه ... هـــصورًا إذا لقـــي القِـــرْنَ صـــالا

هُمـــا مـــع تـــصرف رُيـــبِ المنـــونِ ... مـــن الأرض ركنًـــا ثبيتـــا أمـــالا

همـــا يـــوم حُـــمَّ لـــه يومـــه ... وقـــال أخـــوفهم بُطـــلًا وفـــالًا

وقـــالوا قتلنـــاه في غـــارةٍ ... بآيـــة أنَّـــا ورثنـــا النبـــالا

فهـــلَّا إذًا قبـــل ريـــب المنـــون ... وقـــد كـــان فـــذًا وكنـــتم رجـــالًا

وقـــد علمـــتْ فهـــمُ عنـــد اللقـــاء ... بـــأنهم لـــك كـــانوا نفـــالا

كـــأنهم لم يُجـــسوا بـــه ... فيُخلـــوا النـــساء لـــه والحجـــالا

ولم ينزلـــوا بمحـــول الـــسنين بـــه ... فيكونـــوا عليـــه عيـــالا

وقـــد علـــم الـــضعيفُ والمُرملـــونَ إذا ... اغـــبرَّ أفـــقٌ وهبـــتَّ شـــمالا

وخلَّـــتْ عـــن أولادهـــا المُرضـــعاتُ ... ولم تـــر عـــينٌ لمـــزنٍ بـــلالا

بأنـــك كنـــت الربيـــع المغيـــثَ ... لمـــن يعتفيـــك وكنـــت الـــشمالا

وخـــرقٍ تجـــاوزت مجهولـــه ... بوجنـــاءَ حـــرفٍ تـــشكي الكـــلالا

فكنـــت النهـــار بـــه شمـــسهُ ... وكنـــت دُجـــى الليـــل فيـــه الهـــلالا

وخيـــلٍ سَـــمَتْ لـــك فرســـانها ... فولـــوا ولم يـــستقلوا قبـــالا

فحيَّـــا أبحـــت وحيَّـــا صَـــبَحْتَ ... غـــداة اللقـــاءِ منايـــا عجـــالا

وحـــربٍ وردت وثغـــرٍ ســـددت ... وعلـــجٍ شُـــددتُ عليـــه الحبـــالا

ومـــالٍ حويـــت وخيـــلٍ حميـــت ... وضـــيفٍ قريـــت يخـــافُ الوكـــالا

وكـــم مـــن قبيـــلٍ وإن لم تكـــن ... أردتهـــم منـــك بـــاتوا وجـــالا

عشرقة المحاربية

صارت عجوزًا فقالت تذكر ماضي أيامها:

جريتُ مع العشاقِ في حلبة الهوى ... فقُقْتُهُم سبقًا وجئتُ على رسلي
فما لبس العشاقُ من حُللِ الهوى ... ولا خلعوا إلا الثياب التي أُبلي
ولا شربوا كأسًا من الحُبِّ مُرَّةً ... ولا حلوةً إلا شرابهم فضلي

أم النحيف
وهو سعد بن قرظ من بني جذيمة

تزوج ابنها امرأة على كره منها، ثم أراد طلاقها فمنعته وقالت هذه الأبيات:

لعمري لقد أخلفت ظني وسُؤتني ... فخرت بعصياني الندامة فاصبرِ
ولا تكُ مطلاقًا ملولًا وسامح القرينة ... وافعل فعل حُرٍّ مُشَهَّرِ
فقد حزت بالورهاء أخبث خبثةٍ ... فدع عنك ما قد قلت يا سعد واحذرِ
تربص بها الأيام علَّ صروفها ... سترمي بها في جاحمٍ مُتسعرِ
فكم من كريمٍ قد مناهُ آلهةُ ... بمذمومة الأخلاق واسعة الحرِ
فطاولها حتى أتتها منيةٌ ... فصارتْ سفاةً جُثوةً بين أقبر
فأُعقب لما كان بالصبر مُعصمًا ... فتاةً تمشي بين إنبٍ ومئزرِ
مهفهفة الكشحين محطوطة المطا ... كهم الفتى في كل مبدًى ومحضرِ
لها كفلٌ كالدعص لبده الندى ... وثغرٌ نقيٌّ كالأقاحي المنوَّرِ

رقاش أخت جذيمة الوضاح

زوجها أخوها من رجل (وكان في حال سكر ومنادمة) فلما أصبح أخبروه فقال لها شعرًا يتهمها به فأجابته:

أنت زوَّجتني وما كنتُ أدري ... وأتاني النساءُ للتزيين

ذاك من شربك المدامة صرفًا ... وتماديك في الصبا والجنون

بنت حكيم بن عمرو العبدية

قالت ترثي أباها وتحرض قومها على أخذ ثأره:

أيرجو ربيعٌ أن يثوب وقد ثوى ... حُكيمٌ وأمسى شلوه بُمطبقِ

فإن كنتم قومًا كرامًا فعجلوا ... له جُرأةً من بأسكم ذات مصدقِ

فإن لم تنالوا نيلكم بسيوفكم ... فكونوا نساءً في الملاءِ المُحلَّقِ

وقولوا ربيعٌ ربُّكم فاسجدوا له ... فما أنتم إلا كمعزى الجِبلَّقِ

أم ثواب الهذانية

عقَّها ولدها فقالت:

ربيتُه وهو مثلُ الفَرخ أعظمه ... أم الطعام ترى في جلده زَغَبا

حتى إذا آض كالفُحال شدَّ به ... أبَّاره ونفى عن متنه الكربا

أنشا يُمزقُ أثوابي ويضربني ... أبعد شيبي عندي يبتغي الأدبا

إني لأُبصرُ في ترجيل لمته ... وخطِّ لحيته في وجهه عجبا

قالت له عرسه يومًا لتُسمعني ... رفقًا فإن لنا في أُمنا أربا

ولو رأتني في نارٍ مُسعرةٍ ... ثم استطاعت لزادت فوقها حطبا

أروى بنت الحباب

قالت ترثي أباها:

قـل للأرامـل واليتـامى قـد ثـوى ... فلتبـك أعينهـا لفقـد حبـابِ
أودى ابـنُ كـل مخـاطرٍ بحـتلاده ... ولنفسه بقيًـا عـلى الأحسابِ
الـراكبين مـن الأمـور صـدورها ... لا يركبـون معاقـد الأذنـابِ

آمنة بنت عتيبة
ابن الحرث بن شهاب اليربوعية

كان أبوها فارس بني تميم وقتل يوم (خوّ) من أيام العرب فقالت ترثيه:

تروَّحنـا مـن اللعبـاءِ عـصرًا ... فأعجلنـا الالاهـة أن تئوبـا
عـلى مثـل ابـن ميَّـة فانعيـاه ... تـشقُّ نـواعمُ البـشرِ الجيوبـا
وكـان أبي غتيبـةُ شـمَّريا ... فـلا تلقـاهُ يـدَّخِرُ النَّـصيبا
ضروبـا للكمـيِّ إذا اشـمعلَّتْ ... عـوانُ الحـربِ لا ورعـا هيوبـا

ابنة حذاق الحنفي

قُتل أبوها فقالت ترثيه:

أعينـي جـودا بالـدموغ عـلى الـصدرِ ... عـلى الفـارس المقتـول في الجبـل الـوعرِ
فـان يقتلـوا حـذاق وابـن مُطـرفٍ ... فـان لـدينا حوشـبًا وأبـا الجـسرِ
تبـصَّرتُ فتيـان اليمامـة هـل أرى ... حـذاقًا وعينـي كالحجـاةِ مـن القطـرِ
تعـاوره أسـيافُ قـومٍ تعـودوا ... قـراع الكـماة لا خُنـوسٍ ولا ضُـجُرِ

فيـــالهفي ألا تكـــون لقيـــتهم ... بـــصحراء لا ضـــيق المكـــر ولا وعـــرِ
فـــإن لم أنـــل مـــن دوس ثـــاري بفتيـــةٍ ... مـــصاليت لم يكـــرهم حـــدثُ الـــدهرِ
فـــان قريـــشًا كـــان مقتـــلُ حـــاذقٍ ... بأيـــديم فاطلـــب بـــه قاتـــل الحجـــرِ
فقـي قـتلهم مثـل الـذي نـال مـن حظـي ... بقتـــل حـــذاقٍ في العـــلاء وفي الـــذكرِ

عمرة الخثعمية

قالت ترثي ابنيها أو أخويها:

أبـــى النـــاس ألا أن يقـــولا هُماهُمـــا ... ولـــو أننـــا أســـطعنا لكـــان ســـواهما
بُنيَّـــا عجـــوزٍ حـــرَّم الـــدهرُ أهلهـــا ... فلـــيس لهـــا إلا الآلـــهُ ســـواهما
لقـــد زعمـــوا أني جزعـــتُ عليـــهما ... وهـــل جـــزع إن قلـــت وابأباهمـــا
همـــا أخـــوافي مـــن لا أخـــا لـــه ... إذا خـــاف يومًـــا نبـــوةً فـــدعاهما
همـــا يلبـــسان المجـــد أحـــسن لبـــسةٍ ... شـــحيحان مـــا اســـطاعا عليـــه كلاهمـــا
شـــهابان منـــا أُوقـــدا ثـــم أخمـــدا ... وكـــان ســـنىً للمـــدلجين ســـناهما
إذا نـــزلا الأرض المخـــوف بهـــا الـــردى ... يُحقـــضُ مـــن جأشـــيهما مُنـــصُلاهما
إذا اســـتغنيا حُـــبَّ الجميـــع إليـــهما ... ولم يتـــأ مـــن نفـــع الـــصديق غناهمـــا
إذا افتقـــرا لم يجـــشما خـــشية الـــردى ... ولم يخـــش رُزءًا مـــنهما مولياهمـــا
لقـــد ســـاءني أن عنَّـــستْ زوجتاهمـــا ... وأن عُرِّيـــت بعـــد الـــوجى فرســـاهما
ولـــن يلبـــث العرشـــان يُـــستلُّ مـــنهما ... خيـــارُ الأواسي أن يميـــل غماهمـــا

لامرأة عربية

ترثي ابنًا لها اسمه عمرو:

يا عمرو مالي عنك من صبرِ ... يا عمروُ يا أسفي على عمرو

لله يا عمروٌ وأيُّ فتىً ... كفنتُ يوم وضعت في القبرِ

أحثو التراب على مفارقه ... وعلى غضارة وجهه النَّضْرِ

حين استوى وعلا الشبابُ به ... وبدا منير الوجه كالبدر

ورجا أقاربه منافعه ... ورأو شمائل سيدٍ غمرِ

وأهمهُ همي فساوره ... وغدا مع الغادين في السَّفَرِ

تعدو به شقراءُ سامية ... مرطى الجراءِ شديدةُ الأسرِ

ثبتُ الجنان به وبقدمها ... فلجٌ يُقلبُ مقلتي صقرِ

ربيته دهرًا أُفتقه ... في اليُسر أغذوه وفي العُسْرِ

حتى إذا التأميلُ أمكنني ... فيه قُبيلَ تلاحقِ الثغرِ

وجعلتُ من شغفي أُنقله ... في الأرض بين تنائفٍ غُبْرِ

أدعُ المزارع والحصون به ... وأُحِلُّه في المهمه القفرِ

ما زلتُ أُصعُدهُ وأُحدرهُ ... من قُترٍ موماةٍ إلى قُتر

هربًا به والموت يطلبه ... حيث انتويت به ولا أدري

حتى دفعتُ به لمصرعه ... سوقَ المعيز تُساقُ للعثْرِ

ما كان إلا أن هجعت له ... ورمى فأغفى مطلع الفجر

ورمى الكرى رأسي ومال به ... رمس يساورُ منه كالسكرِ

إذ راعني صوتٌ هبيتُ له ... وذُعرتُ منه أيما ذُعرِ

وإذا منيته تُساوره ... قد كدَّحت في الوجه والنحرِ
وإذا له عُلَقٌ وحشرجةٌ ... مما يجيشُ به من الصدرِ
والموتُ يقبضه ويبسطه ... كالثوبِ عند الطيِّ والنشرِ
فدعا لأنصره وكنت له ... من قبل ذلك حاضر النصرِ
فعجزتُ عنه وهي زاهقة ... بين الوريد ومدفع السَّحرِ
فمضى، وأيَّ فتًى فجعتُ به ... جلَّتْ مصيبته عن القَدْر
لو قيل تفديه بذلتُ له ... مالي وما جمعتُ من وَفْرِ
أو كنتُ مقتدرًا على عمري ... آثرته بالشطر من عمري
قد كنت ذا فقرٍ له فعدا ... ورمى عليَّ وقد رأى فقري
لو شاء ربي كان متعني ... بابني وشد بأزره أزري
بُنيت عليك بُنيَّ أحوج ما ... كنا إليك صفائحُ الصخرِ
لا يُبعدنك الله يا عمري ... إما مضيت فنحن بالأثرِ
هذي سبيلُ الناس كُلهم ... لا بد سالكها على سفرِ
أولا تراهم في ديارهم ... يتواقعون وهم على ذُعُرِ
والموتُ يوردِهم مواردهم ... قَسْرًا فقد ذلوا على قَسْرِ

امرأة ترثي أباها:

ألا فاقصري عن دمع عينك لن تري ... أبًا مثله تَنمي إليه المفاخرُ
وقد علمَ الأقوامُ أن بناتِه ... صوادقُ إذ يندبنَهُ وقواصرُ

سُبيعة بنت الأحب

قالت لابنها خالد تعظم له حرمة مكة وتنهاه عن البغي فيها:

أبُنـــيَّ لا تظلـــمْ بمكـــة لا ... الـــصغير ولا الكبـــير
واحفـــظ محارمهـــا بُنـــيَّ ... ولا يغرَّنـــك الغـــرور
أبنـــيَّ مـــن يظلـــم بمكـــة ... يلـــقَ أنـــواعَ الـــشرورْ
أبُنـــيَّ يُـــضْرَب وجهـــه ... ويلـــجُ بخديـــه الـــسعير
أبنـــيَّ قـــد جربتهـــا ... فوجـــدتُ ظالمهـــا يبـــورْ
الله آمنهـــا ومـــا ... بُنيـــت بعرصـــتها قـــصورْ
والله آمـــن طيرهـــا ... والعُـــصْمُ تـــأمنُ في ثبـــيرْ
ولقـــد غزاهـــا تُبَّـــعٌ ... فكـــسا بنيتهـــا الحبـــيرْ
وأذل ربي ملكـــهُ ... فيهـــا فـــأوفى بالنـــذور
يمـــشي إليهـــا حافيًـــا ... بفنائهـــا ألفـــا بعـــيرْ
ويظـــلُّ يُطعـــمُ أهلهـــا ... لحـــم المهـــاري والجـــزور
يـــسقيهم العـــسل المُـــصفى ... والـــرحيض مـــن الـــشعير
والفيـــل أهلـــك جيـــشهُ ... يُرمـــون فيهـــا بالـــصخور
والملـــك في أقـــصى الـــبلا ... ـــد وفي الأعـــاجم والخـــديرْ
فاســـمع إذا حُـــدِّثتَ ... وافهـــم كيـــف عاقبـــةُ الأمـــور

أميمة بنت أمية
بنت عبد شمس بن عبد مناف

قال ترثي ابن أخيها أبا سفيان بن أمية ومن قتل من قومها يوم عكاظ وهو الرابع من حرب الفجار:

أبى لي أن يذهبْ ... ونيط الطرفُ بالكوكبْ
ونجمٍ دونه الأهوال بين ... الدَّلو والعقربْ
وهذا الصبحُ لا يأتي ... ولا يدنو ولا يقربْ
بفقد عشيرةٍ منا ... كرام الخيمِ والمنصبْ
أحال عليهم دهرٌ ... حديدُ النابِ والمخلبْ
فحلَّ بهم وقد أمنوا ... ولم يُقْصَرْ ولم يُشطبْ
وما عنه إذا ما حلَّ ... من منجًى ولا مهربْ
ألا يا عينُ فابكيهم ... بدمعٍ منك مُستغربْ
فإن أبكِ فهم عزي ... وهم ركني وهم منكبْ
وهم أصلي وهم فرعي ... وهم نسبي أذا أُنسبْ
وهم مجدي وهم شرفي ... وهم حصني إذا أرهبْ
وهم رمحي وهم تُرْسي ... وهم سيفي إذا أغضبْ
فكم من قائل منهم ... إذا ما قال لم يُكذَبْ
وكم من ناطقٍ فيهم ... خطيبٍ مِصقع مُعربْ
وكم من فارسٍ فيهم ... كميٍّ مُعلمٍ مجربْ
وكم من مِذرهٍ فيهم ... أريبٍ حُولٍ قُلَّبْ
وكم من جحفلٍ فيهم ... عظيم النار والموكب

وكـــم مـــن خِـــضرمٍ فـــيهم نجيـــبٍ ماجـــد مُنجـــبْ

رفيقة بنت نباتة

أجدبت قريش فقام عبد المطلب يستسقي الله للناس فاستجاب الله له وانفجرت السماء بمائها فقالت رفيقة في ذلك:

بـــشيبة الحمـــد أســـقى الله بلـــدتنا وقـــد فقـــدنا الحيـــا واجلـــوَّذ المطـــرُ
فجـــاء بالمـــاء جـــونٌ مُـــسْبلٌ هطـــلٌ بـــه تنفَّـــسَتِ الأنعـــام والـــشجرُ
مـــنٌّ مِـــن اللهِّ بـــالميمون طـــائره وخـــير مـــن بـــشَّرت يومًـــا بـــه مُـــضَرُ
مبـــاركُ الأمـــر يُستـــسقى الغـــمامُ بـــه مـــا في الأنـــام لـــه شـــبهٌ ولا خطـــرُ

خالدة بنت هاشم بن عبد مناف

قالت ترثي أباها (وقد توفي بغزة من أرض الشام):

عـــينُ جـــودي بعـــبرةٍ وســـجوم واســـفحي الـــدمع للجـــواد الكـــريم
عـــينُ واســـتعبري وسُـــحي وحُمـــيّ لأبيـــك المُـــسوَّد المعلـــوم
هاشـــم الخـــير ذي الجلالـــةِ والحمـــد وذي البـــاع والنـــدى والـــصميمِ
وربيـــعٍ للمجتـــدين ومُـــزن ولـــزازٍ لكـــل أمـــرٍ جـــسيمِ
شـــمريّ نـــماهُ للعـــزِّ صـــقرٌ شـــامخُ البيـــت مـــن سراة الأديـــم
شـــيظمي مُهـــذب ذي فـــضولٍ أبطحـــيٌّ مثـــل القنـــاةِ وســـيمِ
صـــادق البـــأس في المـــواطن شـــهمٍ ماجـــد الجـــد غـــير نكـــسٍ ذميمِ
غـــالبيٌّ مُـــشمرٌ أحـــوذيٌّ باســـق المجـــد مـــضرحيٌّ حلـــيمِ

وقالت ترثيه:

بكت عيني وحق لها بكاها ... وعاودها إذا تمسي قذاها
أبكي خير من ركب المطايا ... ومن لبس النعال ومن حذاها
أبكي هاشمًا وبني أبيه ... فعيل الصبرُ إذ مُنِعتْ كراها
فلو كانت نفوس القوم تُفدَى ... فديتهم وحق لهم فداها

سبيعة بنت عبد شمس

قالت ترثي المطلب بن عبد مناف:

أعيني جودًا على المطلب ... بوبلٍ وماء له مُنسكبْ
أعيني واسحنفرا واندبا ... حليف الندى وقريع العربْ
أخا الجود والمجد والمعضلات ... إذا انقطع الدر بعد الحلبْ
وأكدى المسامح والمنعمون من ... أهل الفعال وأهل الحسبْ

وقالت تذكر الطوى وهي البئر التي حفرها عبد شمس بأعلى مكة عند البيضاء:

إن الطوى إذا ذكرتم ماءها ... صوب السحاب عذوبةً وصفاء

عاتكة بنت عبد المطلب

قالت تفخر بيوم عكاظ:

سائل بنا في قومنا ... وكفاك من شرّ سماعه
قيسًا وما جمعوا لنا ... في مجمعٍ بساق شناعه
فيه السنوّرُ والقنا ... والكبشُ ملتمعٌ قناعُه
بعكاظ يُعشي الناظرين ... إذا هم لمحوا شُعاعه

فيـــــه قتلنـــــا مالكًـــــا قـــــسرًا وأســـــلمه رعاعـــــه
ومُجنـــــــدلًا غادرنـــــــه بالقـــــاعِ تنهـــــشه ضـــــباعه

وقالت ترثي أباها قبيل وفاته:

أعينـــــي جـــــودا ولا تـــــبخلا بـــــدمعكما بعـــــد نـــــوم النيـــــام
أعينـــــي واســـــتعبرا واســـــكبا وشُـــــوبا بكـــــاءكما بالتـــــدام
أعينـــــي واســـــتنخرطا واســـــجما عـــــلى رجـــــلٍ غـــــيرِ نكـــــسٍ كهـــــام
عـــــلى الجحفـــــل الغمـــــر في النائبـــــات كـــــريم المـــــساعي وفي الـــــذمام
عـــــلى شـــــيبة الحمـــــد واري الزنـــــاد وذي مـــــصدقٍ بعـــــد ثبـــــت المقـــــام
وســـــيفٍ لـــــدى الحـــــرب صمـــــصامةٍ ومُـــــردي المُخاصـــــم عنـــــد الخِـــــصام
وســـــهل الخليقـــــة طلـــــقِ اليـــــدين وفي عـــــدمليٍّ صـــــميمِ لهـــــام
تبنـــــك في بـــــاذخٍ بيتـــــه رفيـــــعُ الذؤابـــــة صـــــعبُ المـــــرام

صفية بنت عبد المطلب

قالت تفخر على قريش:

ألا مـــــن مبلـــــغٌ عنـــــي قريـــــشًا ففـــــيم الأمـــــر فينـــــا والإمـــــارُ
لنـــــا الـــــسلفُ المقـــــدَّمُ قـــــد علمـــــتم ولم تُوقـــــدْ لنـــــا بالغـــــدر نـــــارُ
وكـــــل مناقـــــبِ الخـــــيراتِ فينـــــا وبعـــــض الأمـــــر منقـــــصةٌ وعـــــارُ

قالت تبكي أباها قبيل وفاته بطلبٍ منه:

أرقـــــتُ لـــــصوتِ نائحـــــةٍ بليـــــلٍ عـــــلى رجـــــلٍ بقارعـــــة الـــــصعيدِ
ففاضـــــتْ عنـــــد ذلكـــــم دمـــــوعي عـــــلى خـــــدي كمنحـــــدرِ الفريـــــدِ

على رجلٍ كريمٍ غيرِ وغلٍ ... له الفضلُ المبينُ على العبيدِ
على الفياض شيبة ذي المعالي ... أبيك الخير وارثِ كل جودِ
صدوقٍ في المواطن غير نكسٍ ... ولا شخب المقام ولا سنيدِ
طويل الباع أروع شيظميٌّ ... مطاعٍ في عشيرته حميدِ
رفيع البيت أبلج ذي فضولٍ ... وغيث الناس في الزمن الجرودِ
كريم الجدِّ ليس بذي وصومٍ ... يروقُ على المسوَّد والمَسُودِ
عظيم الحلمِ من نفرٍ كرامٍ ... خضارمةٍ ملاوثةٍ أُسودِ
فلو خلد امرؤٌ لقديم مجدٍ ... ولكن لا سبيل إلى الخلودِ
لكان مخلدًا أُخرى الليالي ... لفضل المجد والحسب التليدِ

قالت ترثي أخاها حمزة:

أسائلُ عن أصحاب أُحدٍ مخافةً ... بنات أبي من أعجمٍ وخبيرِ
فقال الخبيرُ إن حمزة قد ثوى ... وزير رسول الله خيرَ وزيرِ
دعاه آله الحقِّ ذو العرش دعوةً ... إلى جنةٍ يحيا بها وسرور
فذلك ما كنا نُرجي ونرتجي ... لحمزة يوم الحشر خيرُ مصيرِ
فوالله لا انساك ما هبَّتِ الصَّبا ... بكاءً وحزنا محضري ومسيري
على أسدِ الله الذي كان مدرها ... يذود عن الأسلامِ كل كفورِ
فيا ليت شلوي عند ذاك وأعظمي ... لدى أضبعٍ تقتادني ونسور
أقولُ وقد أعلى النعيُّ عقيرتي ... جزى الله خيرًا من أخٍ ونصيرِ

وقالت ترثي الرسول عليه السلام:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ... وكنت بنا برًّا ولم تكُ جافيا

وكنـــت رحـــيمًا هاديًـــا ومُعلِّـــمًا ... لبيـــك عليـــك اليـــوم مـــن كـــان باكيـــا
فـــدًى لرســـول الله أمـــي وخـــالتي ... وعمـــي وخـــالي ثـــم نفـــسي ومالـيـا
فلـــو أن رب النـــاس أبقـــى نبينـــا ... سِـــعدنا ولكـــنْ أمـــرُه كـــان ماضـيا
عليـــك مـــن الله الـــسلامِ تحيـــةٌ ... وأُدخلـــتَ جنـــاتٍ مـــن العـــدنِ راضـيا

بَرَّةُ بنت عبد المطلب
ابن هاشم

بكت أباها (بطلب منه قبل موته) بهذه الأبيات:

أعينـــيَّ جُـــودا بـــدمعٍ درِرْ ... عـــلى ماجـــد الخـــيم والمُعْتَـــصَرْ
عـــلى مـــا جـــدِ الجـــدِّ واري الزنـــادِ ... جميـــل المُحيـــا عظـــيم الخَطَـــرْ
عـــلى شـــيبة الحمـــد ذي المكرمـــات ... وذي المجـــد والعـــز والمُفتخـــرْ
وذي الحلـــم والفـــضل في النائبـــات ... كثـــير المفـــاخر جـــمِّ الفَخَـــرْ
لـــه فـــضلُ مجـــدٍ عـــلى قومـــه ... منـــيرٌ يلـــوحُ كـــضوءِ القمـــر
أتتـــه المنايـــا فلـــم تُـــشوِهِ ... بـــصرفِ الليـــالي وريـــب القَـــدَرْ

أميمة بنت عبد المطلب

قالت ترثي أباها (بطلب منه قبل وفاته):

ألا هلـــك الراعـــي العـــشيرة ذو الفقـــدِ ... وســـاقي الحجـــيجِ والمُحـــامي عـــن المجـــدِ
ومـــن يـــألفُ الـــضيفُ الغريـــبُ بيوتـــه ... إذا مـــا ســـماءُ النـــاس تبخـــلُ بالرعـــدِ
كـــسبت وليـــدًا خـــير مـــا يكـــسبُ الفتـــى ... فلـــم تنفكـــك تـــزدادُ يـــا شـــيبة الحمـــدِ
أبـــو الحـــارث الفيـــاض خـــلى مكانـــه ... فـــلا تبعـــدن إذ كـــل حـــيٍّ إلى بُعـــدِ

فـــاني لبـــاكٍ مـــا بقيـــتُ وموجـــعٌ ... وكـــان لـــه أهـــلًا لمـــا كـــان مـــن وجـــدي
ســـقاهُ وليُّ النـــاس في القـــبر ممطـــرًا ... فـــسوف أبكيـــه وإن كـــان في اللحـــد
فقـــد كـــان زينًـــا للعـــشيرة كلهـــا ... وكـــان حميـــدًا حيـــثما كـــان مـــن حمـــد

أم حكيم البيضاء
بنت عبد المطلب

قالت ترثي أباها (بطلب منه قبيل وفاته):

ألا يـــا عـــينُ جـــودي واســـتهلي ... وبكـــــي ذا النـــــدى والمكرمـــــات
ألا يـــا عـــينُ ويحـــك اســـفعيني ... بـــدمعٍ مـــن دمـــوعٍ هـــاطلاتِ
وبكـــي خـــير مـــن ركـــب المطايـــا ... أبـــاك الخـــير تيـــار الفـــزاتِ
طويـــل البـــاع شـــيبة ذا المعـــالي ... كـــريم الخـــيم محمـــود الهبـــاتِ
وصـــــولًا للقرابـــــة هبرزيًـــــا ... وغيثًـــــا في الـــــسنين الممحـــــلاتِ
وليثًـــا حـــين تـــشتجرُ العـــوالي ... تـــروقُ لـــه عيـــونُ النـــاظراتِ
عقيـــلُ بنـــي كنانـــة والمُرجَّـــى ... إذا مـــا الـــدهر أقبـــل بالهنـــات
ومفزعهـــا إذا مـــا هـــاج هـــيجٌ ... بداهيـــةٍ وخـــصمُ المُعـــضلاتِ
فبكيـــه ولا تـــسمي بحـــزنٍ ... وبكـــي مـــا بقيـــت الباكيـــات

وقالت بعد وفاته:

مـــا للـــديار قـــد افحمـــتْ ... مـــن ربهـــا ميـــت الجـــلال
ميـــت الرزيـــة والمـــصيبة ... والفـــضيلة والفعـــال
فلـــئن هلكـــت لتـــورثن مـــبن ... خـــير مـــيراث الرجـــال
المـــالُ والمجـــد التليـــدُ ... فـــضول صـــونٍ وابتـــذال

العـــزُّ والـــزادُ الكثـــير وإنـــسها كمهـــا الرحـــال
التـــارك المـــال الخبيـــث وبـــاذلُ الكـــسب الحـــلال

أروى بنت عبد المطلب
وقد عاشت إلى أيام عمر رضي الله عنه

قالت ترثي أباها (بطلب منه قبل وفاته):

بكـــت عينـــي وحـــق لهـــا البكـــاءُ عـــلى ســـمح ســـجيته الحيـــاءُ
عـــلى ســـهل الخليقـــة أبطحـــي كـــريم الخـــيم شـــيمته العـــلاءُ
عـــلى الفيـــاض شـــيبة ذي المعـــالي أبيـــك الخـــير لـــيس لـــه كفـــاءُ
طويـــل البـــاع أبـــيض شـــيظمي أغـــر كـــأن غرتـــه ضـــياءُ
أقـــب الكـــشح أروع ذو فـــضول لـــه المجـــد المقـــدم والـــسناءُ
أبي الـــضيم أبلـــج هـــبرزي قـــديم المجـــد لـــيس بـــه خفـــاءُ
ومعقـــل مالـــك وربيـــع فهـــد وفيـــصلها إذا الـــتمس القـــضاءُ
وكـــان هـــو الفتـــى كرمًـــا وجـــودًا وبأسًـــا حـــين تنـــسكب الـــدماءُ
إذا هـــاب الكـــماة المـــوت حتـــى كـــأن قلـــوب أكثـــرهم هـــواءُ
مـــضى قـــدمًا بـــذي رأي مـــصيب عليـــه حـــين تبـــصره البهـــاءُ

وقالت في رثاء أبيها:

عينـــي جـــودا بـــدمع غـــير ممنـــون واهمـــلا أن دمـــع العـــين يـــشفيني
إني نـــسيت أبـــا أروى وذكرتـــه مـــن غـــير مـــا بغـــضة منـــي ولا هـــون
مـــا زال أبـــيض مكرامًـــا لاسرتـــه رحـــبَ المحاســـن في خـــصب وفي لـــين
مـــن آل عبـــد منـــاف أن مهلكـــه ولـــو لقيـــت رغـــوب الـــدهر يعـــصيني

مـن الـذين متـى مـا تغـش نـاديهم تلـق الخـضارمة الـشم العـرانين

أم الفضل بنت الحارث الهلالية

قالت وهي ترقص ابنها عبد الله بن العباس:

ثَكِلَتْ نفسي وثَكِلَتْ بكري إن لم يَسُدْ فهرًا وغير فهرِ

بالحسبِ الواقي وبذل الوفرِ حتى يُواري في ضريح القبرِ

ضباعة بنت عامر القشيرية
وقد أسلمت وولد لها أولاد أسلموا

كانت ترقص ابنها المغيرة وتقول:

نمى به إلى الذرى هشامُ قومٌ وآباءٌ له كرامُ

جحاجحٌ خضارمٌ عظامُ من آل مخزومٍ هو النظامُ

والهامةُ العليـاءُ والسَّنامُ

وقالت ترثي زوجها هشامَ بن المغيرة:

إنك لو وَالَت إلى هشامِ أمنت وكنت في حَرَمٍ مقيمِ

كريمُ الخيم خفاقٌ حشاه ثمالٌ لليتيمة واليتيمِ

ربيعُ الناس أروع هبرزيٌّ أبيُّ الضيم ليس بذي وُصُومِ

أصيل الرأي ليس بحيدريٍّ ولا نكد العطاء ولا ذميم

ولا مُتَنَزِّعٍ بالسوءِ فيهم ولا قذعٍ المقال ولا غشومِ

فأصبح ثاويًا في قاعِ رمسٍ كذاك الدهر يفجعُ بالكريمِ

وقالت حين هاجر ابنها سلمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم:

يـــا رب ربَّ الكعبـــة المُحرمَّـــةْ أُنـــصُرْ عـــلى كـــل عـــدوٍ سَـــلَمَهْ
لـــه يـــدان في الأمـــورِ المُبهمـــةْ كـــفٌّ بهـــا يُعطـــي وكـــفٌّ مُنعمـــةْ
أُجـــرأُمـــن ضرغامـــةٍ في أجمـــةْ يحمـــي غـــداة الـــروع عنـــد الملحمـــةْ
بـــــــــــسيفه عـــــــــــورة سرب المُـــــــــــسْلَمِةْ

آمنة بنت وهب
أم النبي عليه السلام

قالت وهي في حال النزع، وقد أسفت لتركها ولدها «محمدًا» صغيرًا محرومًا من عطف الأب والأم:

بـــارك فيـــك الله مـــن غـــلام يـــا ابـــن الـــذي في حومـــة الحـــمام
نجـــا بعـــون الملـــك العـــلام فـــؤدي غـــداة الـــضرب بالـــسهام
بمائـــة مـــن إبـــل ســـوام إن صـــح مـــا أبـــصرتُ في المنـــام
فأنـــت مبعـــوث إلى الأنـــام تبعـــث في الحـــل وفي الحـــرام
تبعـــث بالتوحيـــد والإســـلام ديـــن أبيـــك الـــبر إبراهـــام
فـــالله ينهـــاك غـــن الأصـــنام ألا تواليهـــا مـــع الأقـــوام

فاطمة بنت مر

كانت من فضليات بني خثعم وهي كاهنة، أرادت أن ينكحها عبد الله أبو النبي عليه السلام وتعطيه مائة من الإبل فقال لها ما ذاك إليَّ، وإنما أنا راجع في ذلك إلى إرادة أبي، وزوجه أبوه آمنة بنت وهب الزهرية فقالت فاطمة:

إني رأيـــت مُخيلـــةً لمعـــتْ فـــتلألأتْ بحنـــاتم القَطـــرِ

فسما بها نورٌ يضيءُ به ... ما حوله كإضاءة البدرِ
ورأيت سُقياها حيا بلدٍ ... وقعت به وعمارة القفرِ
فرجوته فخرًا أبوءُ به ... ما كُلُّ قادح زندهِ يُوري
لله منا زُهريةٌ سلبت ... مني الذي سَلَبتْ وما تدري

وقالت أيضا:

بني هاشم قد غادرت من أخيكمُ ... أمينةُ إذ للبأساء يعتركان
كما غادر المصباحُ عند خمودهِ ... فتائل قد بُلَّتْ له بدهانِ
فما كلُّ ما يحوي الفتى من تلادهِ ... لعزمٍ ولا ما فاتهُ لتوانِ
فأجمل إذا طالبت أمرًا فانه ... سيكفيكهُ جدانِ يعتلجانِ
سيكفيكهُ إمّا يدٌ مُقفَعِلَّةٌ ... وإما يدٌ مبسوطةٌ بنانِ
ولما حوت منه أمينة ما حوت ... حوتْ منه فخرًا ما لذلك ثاني
ولما قضتْ منه أمينة، ما قَضَتْ ... نبا بصري عنه وكلَّ لساني

سارة القريظية
يهودية من بني قريظة

لما قَتَلَ أبو جبيلة الغساني أشراف اليهود في المدينة بوادي ذي حُرض بسبب فحشهم قالت ترثيهم:

بنفسي أُمَّةٌ لم تغنِ شيئًا ... بذي حُرُضٍ تُعفيها الرياحُ
كهولٌ من قريظة أتلفتهم ... سيوفُ الخزرجية والرماحُ
رُزئنا والرزية ذاتُ ثقلٍ ... يمرُّ لأجلها الماء القراحُ
ولو أذنوا بحربهم لحالتْ ... هنالك دونهم حربٌ رداحُ

خولة بنت ثابت
أخت حسان

قالت في عمارة بن الوليد المخزومي .

يـــا خليـــلي نـــابني سُـــهدي ... لم تـــنمْ عينـــي ولم تكـــدِ
فـــشرابي مـــا أُســـيغُ ومـــا ... أشـــتكي مـــا بي إلى أحـــدِ
كيـــف تلحـــوني عـــلى رجـــلٍ ... آنـــسٍ تلتـــذه كبـــدي
مثـــل ضـــوء البـــدر صـــورتهُ ... لـــيس بالزميلـــة النكـــد
مـــن بنـــي آل المغـــيرة لا ... خامـــلٍ نكبـــسٍ ولا جَحـــدِ
نظـــرت يومًـــا فـــلا نَظَـــرتْ ... بعـــدهُ عينـــي إلى أحَـــدِ

وقالت بعد أن نُكب عمارة في بلاد الحبشة:

يـــا ليتنـــي لم أنـــم ولم أكَـــدِ ... أقطعهـــا بالبكـــاء والسُّهُدِ
أبكـــي عـــلى فتيـــةٍ رُزئـــتهم ... كـــانوا جبـــالي فـــأوهنوا عـــضدي
كـــانوا جمـــالي ونـــصرتي وبهـــم ... أمنـــعُ ضـــيمي وكُـــلَّ مُـــضْطَهد
فبعـــدهم أرقـــم النجـــوم وأذري ... الـــدمع والحـــزن والـــبَثّ كبـــدي

بنت الضحاك بن سفيان
زوجة العباس بن مرداس

لما عرفت خبر إسلامه، قوضت بيتها وارتحلت إلى قومها وقالت:

ألَمْ ينـــه عبـــاسَ بـــن مـــرداس أننـــي ... رأيـــتُ الـــورى مخـــصوصةً بالفجـــائعِ
أتـــاهم مـــن الأنـــصار كـــلُّ سَـــمَيْذعٍ ... مـــن القـــومِ يحمـــي قومـــه في الوقـــائعِ

يكل شديد الوقع عضب بقودهُ ... إلى الموت هامُ المُقربات البرائعِ
لعمري لئن تابعت دين محمدٍ ... وفارقت إخوان الصفا والصنائعِ
ليدلَّلتَ تلك النفس ذُلًا بعزةٍ ... غداة اختلاف المرهفات القواطع
وقومٍ هم الرأسُ المقدمُ في الوغى ... وأهلُ الحجا فينا وأهلُ الدسائعِ
سيوفهم عزُّ الذليل وخيلهم ... سهام الأعادي في الأمور الفظائع

نعم امرأة شماس بن عثمان

قالت تبكيه وقد قتل يوم أُحد:

يا عينُ جودي بفيضٍ غير إبساس ... على كريمٍ من الفتيان لباس
صعب البديهة ميمونٍ نقيبته ... حمالُ ألوية ركاب أفراس
أقول لما أتى الناعي له جزعًا ... أودى الجواد وأودى المطعمُ الكاسي
وقلتُ لم خلتْ منه مجالسه ... لا يبعد الله عنا قرب شمّاس

أم كلثوم ابنة عبد ود

قتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أخاها عمرو بن عبد ود العامري، ولما نُعي إليها قالت:

أسدان في ضيق المكرِّ تجاولا ... وكلاهما كفؤٌ كريمٌ باسلُ
فتخالسا سلب النفوس كلاهما ... وسط المجال مجالدٌ ومقاتلُ
وكلاهما حسر القناع حفيظةً ... لم يثنه عن ذاك شغلٌ شاغلُ
فاذهب عليٌّ فما ظفرت بمثله ... قولٌ سديدٌ ليس فيه تحاملُ

وقالت:

لـو كـان قاتـل عمـرٍو غـير قاتلـه ... لكنـتُ أبكـي عليـه آخـر الأبـد
لكـن قاتلـه مـن لا يُعـابُ بـه ... مـن كـان يُـدعى قـديمًا بيـضة البلـدِ
مـن هاشـمٍ في ذراهـا وهـي صـاعدةٌ ... إلى السـماء تُميـتُ النـاس بالحسـدِ
قـومٌ أبـى الله إلا أن يكـون لهـم ... مكـارمُ الـدين والـدنيا بـلا لـددِ
يـا أم كلثـوم إبكيـه ولا تـدعي ... بكـاءَ مُعولـةٍ حـرَّى عـلى ولـدِ

ثم دعاها النبي إلى الإسلام يوم فتح مكة فاسلمت.

أعرابية من بني عبد ود

كان خالد بن الوليد قدم عليهم ليحطم ودًّا (وهو صنم لهم) فقاموا يدرأون عنه فضرب خالد فتى منهم فقتله فقالت أمه ترثيه:

ياقرحـة القلـب والأحـشاءِ والكبـدِ ... يـا ليـت أمـك لم تحبـلْ ولم تلـدِ
لمـا رأيتـك قـد أُدرجـتْ في كفـنٍ ... مُطيبـا للمنايـا آخـر الأبـدِ
أيقنـتُ بعـدك أني غـير باقيـةٍ ... وكيـف يبقـى ذراعٌ زال عـن عـضدِ

هند بنت عتبة
زوجة أبي سفيان صخر بن حرب وأم معاوية بن أبي سفيان

قالت وهي ترقص ولدها معاوية:

أنَّ بُنـيَّ مُعـرِقٌ كـريمْ ... مُحبَّـبٌ في أهلـه حليـمْ
ليـس بفحـاشٍ ولا لئـيمْ ... ولا بطخـرورٍ ولا سـئومْ
صـخرُ بنـي فهـرٍ بـه زعـيمْ ... لا يُخلـفُ الظـن ولا يخـيم

وقالت في رثاء أبيها عتبة (وقد قتل يوم بدر):

أعيني جودا بدمع سربْ ... على خير خندف إذ ينقلب
تداعى له رهطه غُدوةً ... بنو هاشمٍ وبنو المطلبْ
يُذيقونه حدَّ أسيافهم ... يفلونه بعد ما قد عُطبْ
يجرُّون منه عفير التراب ... على وجهه عاريًا قد سُلبْ
وكان لنا جبلًا راسيًا ... جميل المراحِ كثير العُشُبْ
وقامت يهودُ بأسيافها ... قصارُ الجدودِ لئامُ الحَسَبْ
عبيدُ أبي كربٍ تُبَّعٍ ... عبيدٌ قصارٌ دقاق النَّسَبْ

وقالت تبكي أباها وتهدد خصومها:

يا عينُ بكِّي عُتبةْ ... شيخًا شديد الرقبةْ
يُطْعِمُ يوم المسغبةْ ... يدفعُ يوم المغلبةْ
إني عليه حربةْ ... ملهوفةٌ مُسْتَلبةْ
لنهبطن يثربةْ ... بغارةٍ مُنْشَعبةْ
فيها الخيولُ مُقربةْ ... كلُّ جوادٍ سَلْهَبَةْ

وقالت:

لله عينا من رأى ... هُلْكًا كهُلْكِ رجاليةْ
يا رُبَّ باكٍ لي غدًا ... في النائبات وباكيةْ
كم غادروا يوم القليب ... غداة تلك الداعيةْ
من كل غيثٍ في السنين ... إذ الكواكبُ خاويةْ
قد كنتُ أحذر ما أرى ... فاليوم حقَّ حذاريةْ

يـــا رُبَّ قائلـــةٍ غـــدًا ... يـــا ويـــح أم معاويـــةْ

وقالت:

يريـــبُ علينـــا دهرنـــا فيـــؤنا ... ويـــأبى فـــما نـــأتي بـــشيءٍ نُغالبـــهْ
أبعـــد قتيـــلٍ مـــن لـــؤيِّ بـــن غالـــبٍ ... يُـــراع امـــرؤٌ إن مـــات أو مـــات صـــاحبهْ
ألا رُبَّ يـــومٍ قـــد رُزئـــتُ مُـــرزءًا ... تـــروحُ وتغـــدو بالجزيـــل مواهبـــهْ
فـــأبلغ أبـــا ســـيفان عنـــي مألُكًـــا ... فـــان ألقـــه يومًـــا فـــسوف أُعاتبـــه
فقـــد كـــان حـــربٌ يُـــسعرُ الحـــرب إنـــهُ ... لكـــل امـــريٍ في النـــاس مـــولًى يُطالبُـــهْ

وقالت:

أُبكـــي عميـــد الأبطحـــين كلـــيهما ... وحـــيَّهما مـــن كـــل بـــاغٍ يريـــدها
أبي عتبـــةُ الخـــيرات ويحـــك فـــاعلمي ... وشـــيبةُ والحـــامي الـــذمار وليـــدُها
أولئـــك آلُ المجـــد مـــن آل غالـــبٍ ... وفي العـــز منهـــا حـــين ينمـــى عديـــدُها

وقالت تبكي من فقدت من أهلها:

مـــن حـــسَّ لي الأخـــوين كالــــ ... ـــغـــصنين أو مـــن راهُمـــا
ويـــلي عـــلى أبـــويَّ والقــــ ... ـــبر الـــذي وَاراهمـــا
لا مثـــلُ كهـــلي في الكهـــو ... ـــل ولا فتًـــى كفتاهمـــا
أســـدان لا يتـــذللا ... ـــن ولا يُـــرام حماهمـــا
رُحـــين خطبـــين في ... كبـــد الـــسماء تراهمـــا
مـــا خلفـــا إذ ودعـــا ... في ســـؤددٍ شرواهمـــا
ســـادا بغـــير تكلـــفٍ ... عفـــوًا بفـــيض نـــداهما

وكانت تحرض قريشًا يوم أُحد بنشيد أوله (نحن بنات طارق) قد ورد في شعر إحدى شاعرات وائل وتقول:

صبرًا بني عبد الدارْ ... صبرًا حماة الأدبار

ضربًا بكل بتّارْ

وقالت يوم أُحد بعد مقتل حمزة:

شفيتُ من حمزة نفسي بأُحُدْ ... حتى بقرت بطنه عن الكبد

أذهبَ عني ذاك ما كنتُ أَجِدْ ... من لذعة الحزن الشديد المعتمدْ

والحرب تعلوكم بشؤبوبٍ بَرِدْ ... نُقْدِمُ إقدامًا عليكم كالأُسُدْ

وقالت:

نحن جزيناكم بيومِ بدرِ ... والحربُ بعد الحرب ذاتُ سُعُرِ

ما كان لي عن عُتبةٍ من صبرِ ... ولا أخي وعمه وبكري

شفيتُ نفسي وقضيتُ نذري ... شفيتَ وحشيُّ غليل صدري

فشكرُ وحشيٌّ عليَّ عمري ... حتى تُرَمَّ أعظمي في قبري

وقالت حين انصرافها عن أُحد:

رجعتْ وفي نفسي بلابلُ جمةٌ ... وقد فاتني بعض الذي كان مطلبي

من أصحاب بدرٍ من قريشٍ وغيرهم ... بني هاشمٍ ومن أهل يثربِ

ولكنني قد نلتُ شيئًا ولم يكن ... كما كنتُ أرجو في مسيري ومركبي

ومع كل ما جرى فإنها لما علمت بعزم زينب بنت الرسول عليه السلام الذهاب إلى المدينة، جاءتها وعرضت عليها مساعدتها كابنة عم تحفظ عهد القرابة واظهرت لها كل مروءة...

ولما علمت بتعرض قريش لمنعها عن الهجرة خرجت إليهم تؤنبهم على عملهم الفظيع صاخبة غاضبة، وقالت لهم:

أفي السلم أعيارًا جفاءً وغلظةً ... وفي الحرب أمثال النساءِ العواركِ؟

ثم أسلمت بعد الفتح هي وزوجها وأولادها وخدموا العربية والإسلام خدمة عظمى رحمهم الله.

أروى بنت الحرث
ابن عبد المطلب

قالت تجيب هندًا بنت عتبة على شعرها (نحن جزيناكم بيوم بدر)

يا بنت جبار كثير الكفر ... خُزيت في بدرٍ وغير بدر

صبحك الله قبيل الفجر ... بالهاشميين الطوال الزهر

بكل قطاع حسام يفري ... حمزة ليثي وعليٌّ صقري

رام شبيب وأبوكِ غدري ... فخضبا منه ضواحي النحر

هنك وحثيُّ حجاب الستر ... ما للبغايا بعدها من فخر

ونذرك السوء فشر نتذر

قالت ترثي عليًّا رضي الله عنه:

ألا يا عين ويحك أسعدينا ... ألا وابكي أمير المؤمنينا

رُزينا خير من ركب المطايا ... وفارسها ومن ركب السفينا

ومن لبس النعال أو احتذاها ... ومن قراءَ المثاني والمئينا

إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت البدر راع الناظرينا

ولا والله لا أنسى عليًّا ... وحسن صلاته في الراكعينا
أفي الشهر الحرام فجعتمونا ... بخير الناس طرًّا أجمعينا

هند بنت أثاثة بن عباد

قالت ترثي النضر بن الحرث بن عبد المطلب:

لقد ضمَّتِ العفراءُ مجدًا وسؤددًا ... وحلمًا أصيلًا وافر اللُّبِّ والعقلِ
عُبيدةُ فابكيه لأضياف غربةٍ ... وأرملةٍ تهوي لأشعث كالجذلِ
وبكيه للأقوام في كل شتوةٍ ... إذا احمر آفاق السماء من المحلِ
وبكيه للأيتام والريحُ زفزفٌ ... وشتيت قدرٍ طالما أزبدت تغلي
فإن تُصبح النيرانُ قد مات ضوؤها ... فقد كان يُذكيهن بالحطب الجزل
لطارق ليلٍ أو لملتمسِ القرى ... ومُستنبحٍ أضحى لديه على رِسْلِ

قتيلة بنت النضر بن الحرث

قالت ترثي أباها النضر بن الحرث وكان قد قُتل بأمر النبي عليه السلام وكان من أسرى يوم بدر وقتل لأنه كان يلج في عدائه للإسلام ويمعن في أذية النبي والمسلمين:

يا راكبا إن الأُثيلَ مظنةٌ ... من صبحِ خامسةٍ وأنت مُوفَّقُ
أبلغ بها ميتًا بأن تحيةً ... ما إن تزالُ بها النجائب تخفُقُ
مني عليك وعبرةً مسفوحةً ... جادت بواكفها وأُخرى تُخنَقُ
هل يسمعن النضر إن ناديته ... بل كيف يسمعُ ميتٌ أو ينطقُ
ظلت سيوفُ بني أبيه تنوشهُ ... لله أرحامٌ هناك تمزَّقُ

صبرًا يُقاد إلى المنية مُتعبًا ... رسف المُقيد وهو عانٍ موثقُ
أحمدٌ يا خير صنو كريمةٍ ... في قومها والفحلُ فحلٌ مُعرقُ
ما كان ضرَّك لو منتت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المُحنقُ
فالنضرُ أقربُ من أسرت قرابةً ... وأحقهم إن كان عتقٌ يُعتقُ
لو كنت قابل فديةٍ لفديتهُ ... بأعزِّ ما يفدى به من يُنفقُ

قال ابن هشام: قال النبي عليه السلام لما بلغه هذا الشعر، لو بلغني قبل قتله ما قتلته. ثم إنها أسلمت ومدحت النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة عالية لم أظفر منها بسوى هذا البيت...

الواهبُ الألف لا يبغي بها بدلًا ... إلَّا الآلة ومعروفًا بما اصطنعا